حرب القرم

عام ١٢٧١ - ١٢٧٣هـ / ١٨٥٤م - ١٨٥٦م

أسبابها ونتائجها

الدكتورة:
نادية وليد الدوسري*

* بكالوريوس في التاريخ من كلية الآداب للبنات بالدمام عام ١٤٠٧هـ .
- ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من الكلية نفسها عام ١٤١١هـ .
- دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من الكلية نفسها عام ١٤١٩هـ .
- تعمل الآن أستاذاً مساعداً في التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب للبنات بالدمام.

المقدمة:

تقع شبه جزيرة القرم في البحر الأسود ، شمال تركيا على بعد ٣٠٠ ميل تقريباً من الشاطئ التركي الشمالي ، وتسمى بالجزيرة الخضراء ، ويحدها من الغرب والجنوب البحر الأسود ، ومن الشرق يحدها مضيق كرتش وبحر آزاق الذي يعدّ فاصلاً بينها وبين القوقاز، أما من ناحية الشمال فهي تتصل بالمناطق الأوكرانية، وتبلغ مساحتها سبعة وعشرين ألف كيلو متر مربع ، وتمتاز بموقع إستراتيجي مهم وبثروات ضخمة وخيرات عظيمة(١) .

ثم تحولت إلى جمهورية مستقلة وألحقت في سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م باتحاد الجمهوريات السوفييتية، ومن أشهر مدنها عاصمتها أكماتشيك الآن سيمفيروبول ، وكذلك أخيار والآن سيبا ستوبول

(١) يوسف ولي شاه اور الكيراي . **كارثة القرم الإسلامية في الاتحاد السوفييتي**، ص١٩ ، ص ٣٤ .

وغيسليف والآن أوبا توريا[١] . ولذلك فكر الروس في خطورة دولة القرم ومركزها على موسكو ، ومن ثم عمدوا إلى وضع الخطط السرية للقضاء على هذه القلعة الإسلامية دون تردد بمحاولاتهم للاستيلاء عليها منذ عام ١٠٨٨هـ -١٦٧٧م ، إلا أن تلك المحاولة باءت بالإخفاق ، فعاودوا الكرة عام ١١٤٩هـ - ١٧٣٦م لفرض السيطرة عليها ، وكذلك عامي ١١٥٠ - ١١٥١هـ/ ١٧٣٧ - ١٧٣٨م ، وكانت المرة الرابعة عام ١١٨٥هـ - ١٧٧١م[٢] .

وعندما خرجت روسيا من الحرب مع الدولة العثمانية عام ١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م، وهي ذات مكانة عظيمة في البلقان أخذت مطامعها تزداد في تلك البلاد حتى أوقعت بها وبأعظم الدول الأوربية بعد عدة سنوات إلى أتون حرب القرم التي تعد أول حرب أوربية عامة وقعت بعد الحروب النابليونيه[٣] ؛ إضافة إلى أنها كانت من أهم مراحل المسألة الشرقية التي تعني تصفية الوجود الإسلامي في أوربا ، وبرزت مع بداية انحسار التوسع العثماني عنها ، وفقدان التفوق العسكري أمام روسيا والنمسا اللتين كانتا من أكبر الدول الأوربية ، كما أنها اتسمت في أواخر القرن الثامن عشر بشكل جديد[٤]، فقد أصبحت حرباً وقائية معادية لروسيا وفي الوقت نفسه حرباً انفصالية عثمانية ، وهي تعدّ أول حرب اندلعت منذ الحروب الصليبية بسبب قضية التحكم في فلسطين ، وهي أيضاً الحرب الوحيدة المهمة فيما بين

---

(١) بسام العسلي . **القانوني القائد** ، ص ٧٦.

(٢) يوسف ولي شاه أورا لكيراي : المرجع السابق : ص٣٩.

(٣) عمر الإسكندري وسليم حسن . **تاريخ أوربا الحديثه وآثار حضارتها** ، ج٢ ، ص١٠٣-١٠٤ .

(٤) محمد سهيل طقوش . **العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ٦٩٨ - ١٣٤٣هـ/ ١٢٩٩هـ - ١٩٢٤م ، ص٣٨٤ - ٣٨٥** : محمود ثابت الشاذلي . **المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩هـ - ١٩٢٣م** ، ص١٣٣ .

مجموعة القوى الكبرى بين مؤتمر فينا في عام ١٢٣١ - ١٣٣٣هـ / ١٨١٥ - ١٩١٤م؛ لأنها عامل من عوامل نجاح امتحان الوفاق بين هذه القوى وقدرتها على تسيير النظام الدولي[١] .

وكان أهم أسباب بروزها ضعف الدولة العثمانية المتزايد ، حيث كان هذا الضعف محور السياسة الشرقية للدول الأوربية الطامعة في ممتلكاتها ، إلى جانب ظهور القوميات المسيحية الصغيرة في شبه جزيرة البلقان ، والتي كانت تلك الدول تحاول استغلالها لمصلحتها[٢] وذلك لازدياد الوعي القومي، الذي أدى إلى اندلاع الثورات في تلك المناطق طمعاً في الاستقلال أو لزيادة ما تتمتع به من استقلال بهدف تحطيم الدولة العثمانية وخاصة أن القيصر عدّ نفسه الزعيم الروحي للأرثوذكس ، وبهذه الوسيلة استطاعت روسيا أن توجه النواحي الدينية وجهة سياسية بحتة[٣] إلى جانب القائمين على سياسة الدول الكبرى وأثرهم في ذلك ، وخاصة أن بعض هذه الدول طالبت بطرد العثمانيين من أوربا كلية[٤] ، فجميع تلك الأسباب أدت إلى تأزم العلاقات الدولية فتأثرت التحالفات السياسية بوقوف

(١) دومينيك ترامبور . وران ارونسوهن . **من بونابرت إلى بلفور ، فرنسا أوربا الغربية وفلسطين ١٧٩٩ - ١٩١٧م** ، ص٣ .

(٢) أنور الرفاعي وآخرون . **التاريخ الحديث سياسياً وحضارياً منذ ١٨١٥م مع مدخل عن الثورة الفرنسية** ، ص٢٠٠ .

(٣) السعيد رزق حجاج . **العلاقات المصرية العثمانية ١٨٤٨ - ١٨٥٤م عصر عباس الأول** ، ص١٧٨، وانظر أيضاً :-

Vatikiotis . P . J . , The Modern History of Egypt, P.70.

(٤) محمد محمود السروجي. **مصر والمسألة الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، ص٥-٦.

بريطانيا وفرنسا ضد روسيا للدفاع عن سلامة أراضي الدولة العثمانية[١] .

ولم تكن معاهدة لندن عام ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م[٢] وفرمان السلطان بتولية محمد علي باشا على مصر . وقد نجحت بريطانيا في تحويل مشكلته مع السلطان إلى مشكلة دولية[٣] إلا مرحلة من مراحل تأجيل موعد تسوية حل المسألة الشرقية بالاحتكام إلى السيف بعيداً عن ألاعيب السياسة الدولية ، والواقع أن الدول الأوربية التي دخلت الحرب للدفاع عن الدولة العثمانية وعن الأماكن المقدسة لم يكن ذلك دافعها الأساس، إنما دافعها الحقيقي هو الحفاظ على مصالحها القومية الخالصة، ولذا نجد أن حرب القرم كانت حرباً مسلحة حول تركة الرجل المريض (تركيا)[٤] ، ومع أنها واحدة من بين الحروب الكثيرة التي تصارعت فيها الدول الأوربية الكبرى ، إلا أنها تتميز في أن سببها الرئيس كان موجوداً في الشرق العثماني[٥] ، وترجع أهمية ذلك أيضاً إلى أنه منذ ذلك الوقت ظهر التركيز القوي للقوى الأوربية على فلسطين بالذات ، وبدأت محاولات تحديد معالمها الجغرافية[٦] .

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٢) بخصوص معاهدة لندن انظر :

Hurewitz . J.C, Diplomacy in The Near and Middle East, Adocumentary Record, 1535- - 1956,Volumei, 1535-1914, P.116.

- Hawley Donald , The trucial states , P.160.

(٣) نبيل عبد الحي رضوان . **الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦ - ١٣٢٦هـ - ١٨٦٩ - ١٩٠٨م** ، ص٣٨.

(٤) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق : ص٢٠٠.

(٥) عبد العزيز سليمان نوار . **الشعوب الإسلامية ، الأتراك العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند** ، ص١٨٨ - ١٨٩.

(٦) دومينيك ترامبور . وران أرونسوهن : المرجع السابق ، ص٣ .

بيد أن هناك حوادث ثانوية قد سبقت نشوب حرب القرم ، وكانت فرنسا المحرك الأساس لها بل المحرك الأول لهذه الحوادث ، خاصة أنها حصلت من الدولة العثمانية على حق حماية المسيحيين الكاثوليك فيها عام ١١٥٣هـ - ١٧٤٠م ، وحصلت أيضاً على تعهد بأن يسمح للحجيج الفرنسيين بزيارة الأماكن المقدسة في الحرب والسلم ، والاحتفاظ بمفاتيح بعض الأماكن المقدسة في بيت المقدس ؛ إلا أن هذا الحق انتقل بمرور الزمن إلى الكنيسة الرومية وبمساعدة روسيا[١] مما أدى إلى حدوث عداء شديد بين فرنسا وروسيا يعود إلى حقب متقدمة جداً ، وذلك أنه حين اعتلى نابليون الثالث عرش الإمبراطورية الفرنسية لم يجد أي معارضة من دول أوربا العظمى ، وخاصة النمسا وبروسيا لانصرافهما عنه باضطراباتهما الداخلية ، أما بريطانيا فقد أظهرت اهتماماً عظيماً بالاعتراف بالإمبراطورية الفرنسية ولاسيما أن روسيا كانت مرغمة على الموافقة على ذلك، بل إن قيصر روسيا «نيقولا الأول» ندم أشد الندم للظروف التي خدمت «لويس نابليون» ليصبح رئيساً للجمهورية ثم إمبراطوراً؛ لأن عودة الحكم إلى بيت «نابليون» تعني الكثير من المخاوف لدى القيصر، فروسيا كانت تخشى من عودة السياسة التوسعية الفرنسية إلى النشاط بوصول «نابليون» إلى الحكم ، إضافة إلى احتقار الإمبراطور الفرنسي للروس ، ومن ثم عمل على إبراز فرنسا بكل الطرق ، كما كان يهمه عدم استمرار التفاهم الروسي النمساوي ، ويسعى إلى فهمه ، إلى جانب رغبته في إعادة المجد العسكري لفرنسا والوقوف إلى جانب الكاثوليك ، ومع أن القيصر الروسي اعترف بعاهل فرنسا إلا أنه أصر على عدم مخاطبته كعادة الملوك بلفظ أخي بل كان يخاطبه بلفظ صديقي ؛

(١) عمر الإسكندري وسليم حسن : المرجع السابق ، ص١٠٣ - ١٠٤ ؛ السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٧٧ .

مما جعل «نابليون» يحنق أشد الحنق ، ويعقد النية على الانتقام لنفسه من القيصر في أول فرصة تسنح بذلك ، ويبدو أن حرب القرم كانت هي الفرصة التي أتيحت لفرنسا للانتقام من روسيا[١] وخاصة أنها قامت بدور كبير في القضاء على إمبراطورية «نابليون الأول» وبذلك أخضع «نابليون الثالث» روسيا باشتراكه في حرب القرم ، كما أدى دوراً فاعلاً في انتصار إيطاليا على السياسة النمساوية ، وحطم الأغلال التي فرضتها معاهدة فينا عام ١٢٣١هـ - ١٨١٥م على فرنسا ، وباتفاقه التجاري مع إنجلترا وصلاته الودية مع الملكة «فكتوريا» عمل على تقوية روابط الألفة والصداقة بين فرنسا وجارتها على الجانب الآخر من القنال الإنجليزي[٢] .

أسباب حرب القرم

أ - الأسباب الدينية :

دفع الخلاف الديني الذي وقع بين الطرفين فرنسا وروسيا حول الأماكن المقدسة في فلسطين ، بعض المؤرخين إلى جعله السبب المباشر لوقوع الحرب ، أما الأسباب الأخرى الاقتصادية والتجارية والسياسية فهي أسباب غير مباشرة[٣].

بينما أرى أن السبب الديني لوقوع الحرب هو سبب ثانوي وليس مباشراً ، فالدوافع الاقتصادية كانت أقوى ؛ لأنها تتعلق باحتلال ولايتي الدانوب (الأفلاق والبغدان) وهما في اعتقادي سبب المشكلة المباشر الذي أدى إلى شحذ همم القيصر الروسي لتقسيم أملاك الدولة العثمانية بطرحه ذلك المشروع الذي سنتحدث عنه

(١) عبد العزيز سليمان نوار . **التاريخ الحديث أوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ١٧٨٩ - ١٨٧١م** ، ص٣٥١ - ٣٥٢ .

(٢) محمد مصطفى صفوت . **مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م ، وأثره في البلاد العربية** ، ص١ - ٢ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٥ - ٣٨٦ .

لاحقاً ، خاصة أن لروسيا رغبة جامحة في تقسيم أملاك الدولة العثمانية تعارضت مع سياسة الدول الأوربية وعلى رأسها بريطانيا ، ويبدو أن ذلك هو ما فجر تلك الحرب وأشعلها ، مما أدى إلى اضطراب البلقان(١) ؛ لذلك كله فإن السبب الديني يبدو هنا ضعيفاً ، والحقيقة أنه كان ذريعة فقط لإشراك فرنسا في معمعة تلك الحرب إلى جانب بريطانيا وذلك لعداء الدولتين لروسيا أولاً ، ثم لخدمة مصالحهما ثانياً ، كما سيتضح فيما بعد ، فما الذي أثار قضية دينية كتلك ؟ وما أصول المشكلة بين الطرفين ؟ .

يعود ذلك إلى أن الدولة العثمانية عندما كانت قوية عقدت عدة معاهدات مع الدول الأوربية ، وكانت فرنسا إحداها وعرفت تلك المعاهدات بمعاهدات الامتيازات الأجنبية ، التي أعطت الأوربي فرصاً أكثر من المواطن العثماني في النشاط والربح التجاري ، بل إن قناصل الدول الأوربية استخدموا تلك الامتيازات بجميع الطرق لرعاية وخدمة بني جنسهم على حساب مصالح الدولة التي يقيمون بها ، مما ترتب عليه منح الفرنسيين بموجب تلك الامتيازات الحق في رعاية اللاتين، وفي إقامة الكنائس والأديرة في القدس وبعض الأماكن المقدسة الأخرى ، وفي الوقت نفسه حصلت روسيا على عدة امتيازات مذهبية أيضاً من الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة «كوجوك قاينارجه» عام ١١٨٨هـ - ١٧٧٤م(٢) ، التي كانت معاهدة جائرة للعثمانيين بشكل تجاوز المعاهدات الموقعة من قبل ، وقد أدت إلى نجاح التوسع

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٤٤ - ٣٤٥ ، يشار إلى أن قناصل فرنسا طبقوا سياسة المحمية الكاثوليكية الفرنسية إلى درجة أن أصبحوا مستشارين في الخفاء للحاكم العثماني انظر : دومينيك ترامبور . وران آرونسوهن : المرجع السابق ، ص٣ .

الروسي بحصولهم على عدة مناطق ومن بينها القرم ، وعززت من مكانتهم على الساحة الدولية ، بينما نالت من هيبة السلطنة الآخذة في الانحدار ، التي أصبحت فريسة مغرية للنمساويين والروس الذين واصلوا الضغوط عليها[١] .

وقد كان لهذه المعاهدة أهميتها العظمى بالنسبة إلى روسيا التي أخذت عندئذ تتطلع إلى القسطنطينية (إستانبول) وتكوين إمبراطورية يونانية تقع تحت سيطرتها[٢]، ومعاهدة «أدرنه» عام ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م ، التي كانت هي الثمن الذي حصلت عليه روسيا مقابل تسوية قضية اليونان ، إلا أن هذا الثمن لم يكن على بريطانيا أن تقبل به لأنه أكبر كثيراً مما كانت تريده ، فقد شعر رئيس وزراء بريطانيا أن هذه المعاهدة منحت الروس مميزات ضخمة في الدولة العثمانية ، بل ساد الاعتقاد لديهم ، أن الدولة العثمانية أصبحت على وشك الزوال ، وبعد توقيع هذه المعاهدة صار وكأن الإمبراطورية العثمانية تسير في فلك النفوذ الروسي[٣] .

ومما زاد الأمر سوءاً رعاية روسيا للأرثوذكس والرفع من شأنهم أمام اللاتين ليبدأ التنافس بين فرنسا وروسيا ، وخاصة في القدس حول كنيسة القيامة وملكيتها، فكل دولة تدعي أن لها الحق في امتلاك تلك الكنيسة بناءً على ما عقدته من معاهدات وامتيازات مع الدولة العثمانية[٤] .

والجدير بالذكر ، أن امتيازات الحماية وغيرها من الامتيازات الأجنبية ،

---

(١) روبير مانتران : **تاريخ الدولة العثمانية** ، ص٤٠٦ .

(٢) زينب عصمت راشد . **المختصر في تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر** ، ص٣٧٧.

(٣) سليمان محمد الغنام . **قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا** ، ص٨٠-٨١.

(٤) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٤٤ - ٣٤٥ .

أصبحت حجة للتدخل الأوربي في مصالح الدولة العثمانية ، بل هي السبب المباشر في الاضطرابات التي حدثت في معظم مناطقها فيما بعد[١] .

وطبقاً لذلك وجدت الدولة العثمانية نفسها أنها واقعة بين شقي رحى ؛ فهي تارة أمام معاهدات معقودة مع روسيا ، وتارة أخرى أمام معاهدات معقودة مع فرنسا تجعل لكلتيهما حقوقاً متعارضة في الأماكن المقدسة المسيحية في القدس[٢] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل إن بريطانيا ظهر اهتمامها بالناحية الدينية أيضاً، وذلك حين قدمت طلباً إلى السلطان عام ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م للسماح للإنجليز ببناء كنيسة بروتستانتية في القدس حينما ساعدته على إخراج المصريين من سوريا[٣] ، وكان السبب حتى تكسب لنفسها رعايا تبسط عليهم سلطانها وعن سبيلهم ومن خلالهم تمد نفوذها السياسي[٤] ، وقد عزز الألمان ذلك الطلب ، وعلى الرغم من رجاء الكاثوليك للسلطان برفض الطلب الإنجليزي إلا أن كنيسة إنجليكانية صغيرة أقيمت في القدس عام ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م كانت مدعومة من الأمريكيين بالمال والبعوث التنصيرية حتى كثر أتباعها، مما دفع بريطانيا إلى مساواة نفوذها الديني بالنفوذين الروسي والفرنسي[٥].

وتأسيساً على ذلك ، برزت المشكلة الدينية بين أحقية كل من فرنسا وروسيا في امتلاك مفاتيح كنيسة بيت لحم في فلسطين ، وفي إدارة أماكن الحج في بيت

(١) عبد اللطيف محمد الحميد . **سقوط الدولة العثمانية دراسة تاريخية في العوامل والأسباب**، ص٣٤.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . "**التاريخ الحديث أوربا**" المرجع السابق ، ص٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٣) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٤) محمد فريد بك المحامي . **تاريخ الدولة العليا العثمانية** ، ص٤٩١ .

(٥) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٢ - ٢٠٣ .

المقدس : فادعت روسيا أن من حقها رعاية مصالح المسيحيين الأرثوذكس[١]، على اعتبار أن روسيا أكبر دولة أرثوذكسية في العالم ، إضافة إلى أن عدد الأرثوذكس يقارب العشرة ملايين وأحياناً أكثر من ثلاثة عشر مليوناً من رعايا السلطان ، فهذا التفوق العددي على الكاثوليك جعل الكنيسة الأرثوذكسية من أقوى الكنائس المسيحية المقدسة في داخل الدولة ، فازداد نفوذ الرهبان الأرثوذكس في فلسطين بسبب انشغال فرنسا بالحرب في أوربا ، وبسبب أحداث الثورة الفرنسية ، مما ترتب عليه أن أصبحت القضايا الدينية مهملة، فتراجعت مكانة الرهبان الكاثوليك ، وبذلك وضعت روسيا الأماكن المقدسة تحت رقابتها وإشرافها بالتدريج منتهزة فرصة ضعف نفوذ فرنسا في الشرق[٢] .

ومع ذلك ادعت فرنسا أن من حقها رعاية المسيحيين الكاثوليك في هذه المنطقة من مناطق الدولة العثمانية، وأن ذلك الحق يعود إلى حقب طويلة منذ قيام الحروب الصليبية، وذلك بالاحتفاظ بمفاتيح بعض البقاع المقدسة في بيت المقدس[٣]، والواقع أن هذا النزاع الديني تطور ليصبح ستاراً يخفي من خلفه نوايا سياسية خطيرة لكلتا الدولتين[٤].

---

(١) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٦ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى . **في أصول التاريخ العثماني** ، ص٢٠٨ ؛ علي حسون . **العثمانيون والروس** ، ص١٠٧ ، خاصة أن البطريرك الأرثوذكسي لم يعد ابتداء من عام ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣م ، ينتخب في القسطنطينية بل في القدس . انظر بخصوص ذلك : دومينيك ترامبور . وران آرونسوهن : المرجع السابق ، ص٣ .

(٣) هـ . أ . ل . فشر . **تاريخ أوربا في العصر الحديث** ، ١٧٨٩ - ١٩٥٠م ، ص٢٢٢ - ٢٢٣ «بعد انتقال مركز الثقل الأرثوذكسي من القسطنطينية إلى القدس ، تحركت فرنسا والسلطة البابوية في روما: البطريق اللاتيني الذي يقيم منذ مئات السنين في روما نقل في عام ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م إلى القدس» . انظر: دومينيك ترامبور . وران آرونسوهن: المرجع السابق، ص٣.

(٤) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٦ .

ففي صيف عام ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م ، احتدت المشكلة بين روسيا وفرنسا بسبب اختفاء النجمة المزينة بالنقوش الفضية المحفوظة في كنيسة المهد في بيت لحم ، فتدخلت فرنسا لإضعاف النفوذ الروسي في الشرق باتهام الأرثوذكس بسرقة النجمة المزخرفة بالنقوش الفضية ، ومع أن التحقيقات لم تسفر عن شيء إلا أنها طالبت بتوسيع حقوق اللاتين التقليدية ، فهددت روسيا الدولة العثمانية بالمحافظة على الوضع الراهن وعدم إحداث أي تغيير أو تعديل في الأماكن المقدسة وإلا فإنها ستضطر إلى قطع علاقاتها معها ، ليستمر الوضع كما هو حتى عام ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م ، وهو العام الذي أبدى فيه نابليون الثالث اهتماماً متزايداً ولأسباب سياسية وداخلية بالمسائل الدينية ، وذلك بإرساله مفكرة إلى السلطان العثماني فحواها إعادة الامتيازات الفرنسية القديمة في الأماكن المقدسة ، وهكذا استخدم نابليون الثالث القضية الدينية وبذكاء شديد في إثارة الخلافات القومية والمطامع السياسية(١)، وذلك لإرضاء الرأي العام في فرنسا واستمالته إليه(٢) .

فتردد السلطان في الاستجابة لمطالب الإمبراطور الفرنسي وحاول المماطلة في منح الرهبان الكاثوليك حقوقهم القديمة وغيرها من المطالب ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك ، مما جعل السلطة الفعلية بيد اللاتين(٣) .

وبناء على ذلك أصدر الباب العالي فرماناً بتاريخ ٩ فبراير عام ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م ، فاستاءت روسيا من هذا الفرمان غاية الاستياء ، وألحت على الحكومة العثمانية بإبطاله مدعية أن معاهدتي «قاينارجة وأدرنه» السابقتين تخولان لها هذا

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص٤٩٢ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩١ - ٣٩٢ .

الحق . ولكن الباب العالي أبقى فرمان ٩ فبراير على الرغم من إلحاح روسيا ومعارضتها[١] فأساء إلى حد كبير إلى القيصر الروسي ، فحاول إقناع الباب العالي بإصدار أمر بتدوين جميع حقوق الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في سجلات محاكم المدينة للقضاء على النفوذ الفرنسي ، وجعل أن كل مطلب من مطالب اللاتين باطلاً ، فتدخل السفير الفرنسي في إستانبول متهدداً ومتوعداً بضرب حصار على الدردنيل إذا وافقت الدولة على مطالب روسيا ، وعلى الرغم من ذلك خضع الباب العالي لمطالب الروس فانزعج ساسة فرنسا كثيراً[٢].

فعدت روسيا وفرنسا رفض مطالبهما انتقاصاً لنفوذهما السياسي والأدبي في القدس ، فتأزمت الأمور بينهما ، ولحل الخلاف بين الدولتين عهد السلطان العثماني لرشيد باشا الصدر الأعظم بالتدخل ، فألف لجنة خاصة حددت فيه مناطق نفوذ كلتا الدولتين ، إلا أن فرنسا لم ترض بتوصيات رشيد باشا فاستقال من الوزارة[٣]، ثم عين الباب العالي لجنة مكونة من عدة أعضاء مذاهبهم مختلفة للفصل فيها بمقتضى المعاهدات القديمة ، فقررت هذه اللجنة بعد عدة اجتماعات متتالية بأولوية الكاثوليك في امتلاك عدة كنائس وأديرة ، فتمسكت فرنسا وبشدة بحقوقها التي قررتها اللجنة الأخيرة ، وبما أن الدولة اعتمدت هذا القرار فلابد من تنفيذ ما اعترفت بصحته ، ولذلك اضطرت الدولة العثمانية إلى تنفيذ مضمون قرار اللجنة الأخيرة[٤] .

---

(١) السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٨٠ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩١ - ٣٩٢ ؛ علي حسون : المرجع السابق ، ص١٨٠ .

(٣) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٣ .

(٤) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص٤٩٢ .

وبدا للسياسيين حينها أن الخلاف سيزول[١] لولا وقوع صدام عنيف في القدس بين رجال الدين الكاثوليك والأرثوذكس ليتحول التنافس الديني إلى حرب كبرى باسم الدين المسيحي، بينما كانت الأسباب الاقتصادية أقوى بكثير، كما سبق التنويه بذلك[٢].

ب - الأسباب الاقتصادية :

يبدو أن معاهدة «كوجوك قاينارجه» السابق ذكرها المعقودة بين روسيا والدولة العثمانية سمحت لتجار روسيا بعبور الممرات إلى البحر الأبيض المتوسط ، ومنه إلى غرب أوربا فتحول النقل التجاري إلى ميناء «أوديسا» وهو أهم الموانئ الواقعة على البحر الأسود مما أدى إلى زيادة حجم الصادرات الروسية ولاسيما القمح الذي كان يزرع بكثرة في روسيا ، بينما كانت الأفلاق والبغدان وهما ولايتان في البلقان تصدران كميات كبيرة منه أيضاً نافستا صادراتها ، وهو ما أضر بتجارتها وأصابها بالكساد ، فسعى القيصر الروسي «نيقولا الأول» إلى السيطرة على الولايتين الدانوبيتين لكي يتحكم في إنتاجهما بشكل يعود على روسيا بالفائدة اقتصادياً[٣] . ولا سيما أن قوتها الاقتصادية كانت في ازدياد ونمو مستمرين وذلك لزيادة أعدادها ونمو الصناعة في موانئها ومدنها ، ففضلت روسيا وضع يدها على هاتين الولايتين لمنع منافستهما لميناء «أوديسا» بزيادة حجم صادراتها من القمح من أجل توسيع المجالات التجارية الروسية في البلقان ، إضافة إلى اتساع رقعة الأراضي الروسية إذا ما تحسنت ظروفها[٤] .

---

(١) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٣ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩١ - ٣٩٢ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٢ - ٣٩٣ ؛ عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٩٠ .

(٤) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٤٧ .

ولم تكن الأفلاق والبغدان هما فقط المنافستين لروسيا : بل إن «النمسا» التي كانت تستورد القمح من ولايتي الأفلاق والبغدان أيضاً تسببت في خلق مشكلة أخرى لروسيا عرقلت صادراتها وشكلت تحدياً لها ، فبدأت روسيا في تعطيل أعمال التجارة النمساوية في نهر الدانوب الشريان الرئيس للتجارة النمساوية ، ولذلك سعت النمسا إلى إبعاد روسيا عن هذا النهر[1] .

كما أدت العوامل السياسية والاقتصادية ولاسيما السياسة الجمركية الروسية الضارة بالنشاط التجاري الإنجليزي ، والتي مارستها روسيا في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تتوقع زيادة صادراتها إليها ، إضافة إلى توسعها في تجارتها في موانئ حوض البحر الأبيض المتوسط الذي أرعب بيوت التجارة والاقتصاد الإنجليزي وتماشيه مع النشاط التجاري الفرنسي الذي أدى إلى إضعاف حركة التجارة الإنجليزية مع موانئ الليفانت[2] إلى صرف إنجلترا عن الأسواق الروسية إلى الأسواق العثمانية مما جعل التجارة مفتوحة بين بريطانيا والدولة العثمانية لما تتمتع به الأسواق العثمانية من انفتاح وكثرة استيعاب[3] .

والحقيقة أن هذا التخوف الاقتصادي يدعم الفكرة المطروحة سابقاً في أن السبب الاقتصادي لدخول حرب القرم هو السبب المباشر ، فروسيا تخشى على صادراتها وتجارتها في ظل النمو الاقتصادي المتزايد لإمكاناتها ، وبريطانيا خافت

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق، ص٣٤٧ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٢ - ٣٩٣ ؛ عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٩٠ .

أيضاً على تجارتها واقتصادها من الوجود الروسي في البحر الأبيض المتوسط وتضافره مع النشاط التجاري الفرنسي ، مما سيشكل سداً منيعاً لتجارة بريطانيا ، ولهذا أعتقد أن السبب الديني كما أشرت سابقاً كان ذريعة فقط لجر فرنسا ودخولها الحرب إلى جانب بريطانيا ، وصرفها بشتى الطرق عن روسيا لما لفرنسا من ثقل وتأثير في منطقة الشرق الأدنى ، ولأسباب أخرى ستتضح فيما بعد .

ج - الأسباب الإستراتيجية :

أدى انتهاء الحروب النابليونية المذكورة سابقاً ، وهدوء الأوضاع إلى تنشيط حركة الاختراعات في مجال النقل البري والبحري عالمياً ، فأصبح القطار والباخرة أداة النقل الحديثة ، فبرزت عدة مشروعات لمد الخطوط الملاحية سواء كانت بخارية أو خطوط سكك حديدية للربط بين أوربا والشرق الأقصى عبر الشرق الأدنى ، فتحمست فرنسا لفكرة شق قناة السويس ، وبدأت بريطانيا بفكرة مد خط ملاحي في أنهار العراق أو مد خط حديدي بين الإسكندرية والموصل وبغداد والبصرة لسرعة الاتصال بالشرق الأقصى ، لمنع روسيا من الوصول إلى منطقة الشرق الأدنى من وجهة نظر الفرنسيين والبريطانيين ، في حين اختلفت وجهة نظر روسيا فهي ترى أن قيام بريطانيا وفرنسا بمثل تلك المشروعات في العراق ومصر يستلزم حصولها على القسطنطينية (إستانبول) لتتوازن معهما ، غير أن مفهوم التوازن الدولي عند بريطانيا كان معناه إبعاد روسيا بصورة مستمرة عن المضايق ، ولذلك السبب تبنت بريطانيا سياسة الدفاع عن بقاء الدولة العثمانية ليس حباً فيها وإنما لعرقلة وصول روسيا إلى المضايق(١) . فآخر شيء كانت فرنسا وبريطانيا

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٨٩ .

تريدانه هو وجود الروس في البسفور مما لا يمكنهم من إبحار سفنهم الحربية في البحر الأبيض المتوسط[١] وتأكيداً لذلك فإن إنجلترا وفرنسا كانتا وبشكل أساس مهتمتين بالحفاظ على الوضع الراهن في الشرق ، وفي وقت واحد فإن «بالمرستون» الذي كان وقتها رئيس الوزراء قد دعم وآزر سياسة الوضع الراهن في الشرق ، أي الحفاظ على إتمام استغلال الإمبراطورية العثمانية تحت حكم السلطان[٢].

د- الأسباب الشخصية :

الواقع أن كراهية سفير إنجلترا«"اللورد ستراتورد دي ردكليف» *(Strattord de red Cliffe)* للقيصر الروسي صنفت من الأسباب الدافعة إلى حرب القرم عام ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م ، حين استغل الظروف للاستفادة من تعاون بريطانيا وفرنسا ضد روسيا أو النمسا لتجنب الصدام بينهما ، فوقف إلى جانب السلطان يشجعه وينصحه بعدم الخضوع لروسيا العدوة التقليدية للدولة العثمانية وبما يتطابق مع المصلحة البريطانية[٣] .

ولذا أشيع ولمدة طويلة من الزمن إلى أن «رد كليف» هو السبب الحقيقي لإشعال حرب القرم ، ولكن رسائله تنفي عنه هذه الإشاعة ، وتؤكد أنه كان يدعو إلى الاعتدال[٤] .

وفي الوقت الذي يحمل فيه بعض المؤرخين السفير البريطاني «رد كليف» في

---

(١) *Anthony Nutting , The Arabs a Narrative History From Mohammed To the Present , P. 227.*

(٢) *- Vatikiotis .P.J., OP. cit. , P. 70-71.*

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٤) هـ.أ.ل. فشر : المرجع السابق ، ص٢٢٠ ، ٢٢١.

الآستانة مسؤولية دفع روسيا نحو الوقوع في الحفرة التي حفرها لها على اعتبار أن له كلمة مسموعة في الباب العالي لدرجة أنه كان يوصف بسلطان الدولة العثمانية غير المتوج[1] بحيث ساد الاعتقاد بأنه إذا كان هناك رجل واحد قادر على أن يجر الأمة الإنجليزية إلى الحرب أو يبقيها خارج الميدان ، فإن الرجل الواحد الذي يقرر مصيرها هو السير «ستراتورد كاننج» فله طباع وحشية وثقته في نفسه تملي عليه تصرفاته ، وآراؤه ليست إلا انعكاساً لطبيعته الاستعمارية لدرجة أن الباب العالي كان يضع له اعتباراً كبيراً جداً، وقد كان مهيباً لدى الباب العالي ، وكان رجلاً حبته الطبيعة بصفات القوة ، وهو في قمة نفوذه وسلطته قد فهم العقلية السياسية في الشرق حق الفهم[2] ، إلا أن بريطانيا كانت المسؤول الأول عن أسس السياسة البريطانية تجاه جر روسيا إلى الحرب بعدما ضمنت تحالف فرنسا معها للأسباب المشروحة سابقاً[3]، ومع أن السفير الإنجليزي أدرك قوة روسيا ، وأن تلك القوة باتت من الخطورة بحيث أصبحت تهدد الإمبراطورية البريطانية ، ومن ثم لابد من تقليم أظفار روسيا وفي وقت مبكر ؛ لأن ذلك خير من تأجيل الحرب التي كانت لابد أن تقع في يوم ما[4] . فإننا لا نستطيع تجاهل الدور الخطير الذي قام به «رد كليف» ، والذي سيتضح من خلال استعراض الحوادث الآتية ، إلا أن إغفال دور السياسة البريطانية في هذا الأمر يكون مجانباً للحقيقة التاريخية ، فـ «رد كليف» كان أداة إنجليزية منفذة لما ترسمه الدوائر السياسية البريطانية التي خططت لدفع الروس

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٢) مصطفى الحفناوي . **قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة** ، جـ١ ، ص١٥٤ .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٤) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» المرجع السابق ، ص١٩٠ - ١٩١ .

وبذكاء شديد لحرب القرم ، إلى جانب الذكاء الشديد للتصرفات التي قام بها «رد كليف» في تنفيذ ما خطط له مسبقاً وبدقة، مما يجعلني أتفق مع ما ذكره الدكتور «عبد العزيز نوار» مقدماً ، ومع ما ذكره «رد كليف» نفسه في رسائله التي أشار فيها إلى أنه كان يحض على الاعتدال، وأن المسؤولية الأولى والأخيرة تقع على عاتق بريطانيا وحدها : لأن بريطانيا كانت تخشى من قوات روسيا وترتاب في نياتها ومطامعها في المضايق والبلقان والبحر المتوسط ، وفي ظل تزايد النفوذ البريطاني في الدولة العثمانية بصورة كبيرة ، أصبحت بريطانيا صاحبة الكلمة المسموعة في العاصمة العثمانية ، وكان سفيرها وهو سير «ستراتورد دي رد كليف» من أقوى السفراء البريطانيين الذين شاهدتهم إستانبول ، وكانت لديه فكرة مبالغ فيها ، أن السفير البريطاني أرقى مركزاً من رئيس الوزارة البريطانية(١) .

التدخل الروسي في البلقان

كان واضحاً لدى الروس أن بقاء الدولة العثمانية قوية سيكون عائقاً دون وضع السيطرة الفعلية الروسية في البلقان ، أو مجرد التطلع إليها عبر البحر الأسود ، ولذلك بدأ التفكير الروسي الجدي للتواجد فيها ، وخاصة في حقبة تحلل الدولة العثمانية ، وحقبة الامتيازات والمعاهدات التي وقعت بينها وبين الدولة العثمانية ، والتي جعلت للسفير الروسي في الآستانة كلمة مسموعة وامتيازات في شؤون رومانيا ، وبموجب معاهدة "جاسي" *Yassy* عام ١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م(*) ، تمكنت روسيا من تحقيق أولى الخطوات في الظهور الفعلي في سياسات الشرق الأدنى

---

(١) السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٧٨ .

(*) للاستزاده انظر : سعيد أحمد برجاوي . **الإمبراطورية العثمانية : تاريخها السياسي والعسكري**، ص١٩٥ .

والبلقان ، وهي المعاهدة التي منحت روسيا نصف السيطرة على البحر الأسود ، الذي كان حتى ذلك الحين بحيرة عثمانية ، فكان تقسيم البلقان من المحاولات الجادة التي سعت روسيا إلى تحقيقها ، لتنفيذ خطتها الكبرى على أسس جغرافية لها علاقة بطبيعة الأرض الجبلية ، وأسس سياسية ، ولهذا أضحى لدى روسيا خلال القرن التاسع عشر هدفان أساسيان سعت إلى تحقيقهما في البلقان ، يتمثل أولهما في تفتيت الدولة العثمانية ، وتوزيع ممتلكاتها بحيث يسمح لها بالمرور بمطلق الحرية في المضايق ، ومن ثم السيطرة التامة على البحر الأسود ، أما الهدف الثاني فيتعلق بإقامة تحالف للشعوب السلافية تحت سيطرتها لكونها الشقيق الأكبر لهذه الشعوب ومع ذلك فقد كان لدى روسيا عام ١٢٤٤هـ - ١٨٢٦م الاستعداد الكافي لتغيير خططها في توزيع أملاك الدولة العثمانية لو تطلب الأمر هجوماً أوربياً على البلقان ، مما يترتب عليه اضطرارها إلى الدفاع عنها(١).

فقد كانت عوامل التفكك والتدهور الداخلي جلية في الدولة العثمانية وخاصة في بلاد البلقان ذات الأكثرية المسيحية المتعددة الأديان والعناصر ، ومع ذلك تمثل الحكم العثماني فيها بوجود حاميات صغيرة لحفظ النظام وجباية الضرائب ، ولم يتصف الحكم العثماني بالقسوة والعنف إلا في حالات نادرة حين يتعرض لتحد خطير ؛ بل كان السكان يمارسون أفكارهم الخاصة في شؤون حياتهم الاجتماعية والدينية بحرية تامة ، حتى بدأت تلك الحاميات العثمانية في الضعف والتناقص وذلك لاستشراء الفساد في الدوائر السياسية، وأيضاً لتخلف الحكم العثماني عن ركب الحضارة الأوربية الغربية علمياً وصناعياً ، مما دفع العناصر القومية الأخرى

(١) عبد الله الأشعل . **الدبلوماسية السوفييتية والصراع الدولي في البلقان** ، ص١٥ - ١٧ .

إلى مراجعة أحوالهم الذاتية متأثرين بتجربة اليونان الانفصالية عن كيان الدولة العثمانية[١] .

فانفصال اليونان عن الدولة العثمانية منح القوميات الأخرى القوة الدافعة لتتمثل بتجربتها وتحذو حذوها معتقدة أن ذلك لن يتطلب منها سوى إشعال ثورة تكون مثاراً لتدخل الدول الأجنبية بموجب المعاهدات والامتيازات السابق ذكرها[٢] .

وتأسيساً على ذلك حصل سكان الأفلاق والبغدان على الحكم الذاتي ، مما شجعهم على طلب المزيد ، وكان الصربيون من بينهم ؛ في حين احتفظ سكان الجبل الأسود بانفصالهم وراء جبالهم المنيعة أما البلغار والألبان والمقدونيون فقد كان إحساسهم بالفروق التي تفصل بينهم وبين العثمانيين نتاجاً لعدة اضطرابات ، كان الدين من العوامل القوية التي أضرمتها ، ومع وجود أعداد كبيرة من المسلمين في البلقان إلا أن الأغلبية كانت من العناصر المسيحية الأرثوذكسية برئاسة القيصر الروسي، الذي استخدم الدين وسيلة سياسية لإحداث الاضطراب، وعدم الاستقرار في هذه المنطقة لزعزعة التوازن الدولي، ولأجل ذلك أخذت الدول الأوربية تراقب الأوضاع في البلقان بقلق حاد وطمع[٣].

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٦ - ٣٨٨ ؛ وانظر أيضاً :

- *Thomas . E . Marston , Britain's Imperial Role in the Red sea Area 1800 - 1878 , P. 43;*

- *Vatikiatis . P.J. , oP . cit ., p . 50 .*

(٢) محمد محمود السروجي: المرجع السابق، ص١٥؛ ولمزيد من التفاصيل عن ثورة اليونان انظر:

- *Vatikiotis . P.J., oP . cit ., P69 ;*

- *Anthony Nutting , oP . cit . , P. 226.*

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٦ - ٣٨٧ ؛ محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٤ - ١٥ .

فهل كان حقاً أن الدين هو سبب العداوة بين تلك القوميات المختلفة والدولة العثمانية، أم أن الدين كان وسيلة لتحريض تلك العناصر للقيام بالثورات ليتسنى للدول الأوربية وعلى رأسها روسيا التدخل فيها بدعوى حماية رعاياها المسيحيين .

الواقع أن هذا ما حدث فعلاً ، فالدين كان طابعه سياسياً ، والدليل على ذلك، أن معاملة الدولة العلية لجميع رعاياها من الديانات الأخرى كانت توصف بالتسامح والتساهل والاعتدال طبقاً لما نصت عليه الشريعة الإسلامية ، ولهذا احتفظ المسيحيون بعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وكانت لديهم الحرية الكافية في ممارسة تلك الشعائر دون حجر على تلك الحرية الدينية ، بينما تعرض المسلمون في إسبانيا للاضطهاد والتقتيل من قبل مسيحييها ، بل إن الدولة العثمانية لم تكن تميز الرعايا المسلمين من غيرهم ، إنما كانت تحسن معاملتهم وتساوي بينهم وبين غيرهم حتى في اعتلاء المناصب وتقلد الوظائف العليا التي كانت تتطلب الثقة والأمانة ، وبقاء المسيحيين في الدولة العلية شاهد كبير على اعتدالها الديني ، كما أنها احترمت ديانات القوميات المختلفة بإرادتها ببقائهم على دينهم دون إجبارهم على اعتناق الدين الإسلامي ، فالمسيحيون فيها لم يكن بينهم وبين المسلمين أي فرق في المعاملة ، وهذه حقيقة واضحة كان ينبغي على الدول الأوربية الاعتراف بها إحقاقاً للحق وإنصافاً للدولة العثمانية[١] .

غير أن بعض الدول اتخذت كما ذكر آنفاً من معاهدات الحماية فرصة للتدخل وزعزعة الأمن والاستقرار في الدولة العلية ، فمعاهدة «كوجوك قينارجه» الموضحة سابقاً سمحت للروس ببناء كنيسة مسيحية في «غلطة» في إستانبول على

---

(١) مقال للزعيم مصطفى كامل بعنوان «المسألة الشرقية» ، فصول مختارة من كتب التاريخ ، ص١٥٠ - ١٥١ ، نقلاً عن :- محمود ثابت الشاذلي : المرجع السابق ، ص١٠٠ - ١٠١ .

أن تكون تحت رعاية وحماية الروس ، وتكفلت الدولة العثمانية بحماية تلك الكنيسة. ومن ثم حماية الديانة المسيحية على أن يقوم السفراء الروس بالنيابة عن كنيسة «غلطة» بدور مخاطبة السلطات العثمانية ، فادعوا أن من حقهم تمثيل الطوائف المسيحية في البلقان وحمايتها، إضافة إلى حقهم في التدخل بصفة دائمة[١]، فكان من الطبيعي أن ترفض الدولة العثمانية ذلك الحق المزعوم ، فثارت روسيا وبدأت في خلق الفوضى والاضطراب في أملاك الدولة العثمانية متخذة من الدين ذريعة لتحقيق مآربها السياسية، كما حدث في الجبل الأسود ، حين أوعز القيصر الروسي «نيقولا الأول» مستغلاً ضعف الدولة وإصرار القوميات البلقانية على الانفصال لتقسيمها بالثورة التي تم قمعها في مهدها وإحباط مخططات القيصر من قبل الباب العالي الذي كان يسعى إلى السيطرة على المضايق والعاصمة للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط لعرقلة سياسة فرنسا في الشرق وفي أوربا وذلك للعداء السابق بينهما[٢].

ومع ذلك فقد كانت لهذه الثورة تأثيراتها القوية على أوربا ولا سيما النمسا التي كان يهمها استقرار الأحوال في البلقان ، فتدخلت لدى الباب العالي لتسوية المسألة حرصاً منها على إبعاد روسيا عن الوجود فيها ، فبقاء البلقان بيد الدولة العثمانية الضعيفة خير من وقوعها في قبضة روسيا القوية أو غيرها من القوى ، خوفاً من مطامعها ونواياها التي كانت تسعى إلى لكسب نفوذ لها فيها[٣] فدول

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٦ - ٣٨٧ ؛ أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٢ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع نفسه ، ص٣٧٨ - ٣٨٨ ؛ محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٥ - ١٦ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع نفسه ، ص٣٨٦ - ٣٨٧ ؛ محمد محمود السروجي : المرجع نفسه ، ص١٤-١٥.

البلقان كانت معرضة للانفجار في أي وقت ، فهي أشبه ببرميل بارود ينتظر ارتفاع حرارة المنطقة ، وذلك لعوامل داخلية أو خارجية في أكثر الأحيان[١] .

وهكذا كان الروس بالانتظار فلم تكن لديهم الرغبة في استقرار الأحوال الداخلية في البلقان وهدوئها ، بل كانت لديهم الحماسة في إثارة تلك القلاقل وإشاعة البلبلة ، ومن ثم يستطيعون عندئذ احتلال البلاد أو حتى تقسيمها[٢] .

نستنتج مما مضى أن عامل الدين كان عاملاً قوياً في إثارة القوميات الأخرى، لما للعقيدة في داخل كل فرد من أهمية ، فباستخدام الدين حققت الدول الأوربية مقاصدها وأطماعها ، ولو لم تستند تلك القوى الأوربية إلى الدين لربما تعذر إلى حد ما نجاحها وعلى الرغم من ضعف الدولة العثمانية وتراجعها ، وهذا ما سيبينه مشروع القيصر الروسي لتقسيم الدولة العثمانية .

(أ) مشروع القيصر الروسي «نيقولا الأول» لتقسيم أملاك الدولة العثمانية :-

يشار إلى أنه في عام ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م ، أبدى القيصر الروسي رغبته في اقتسام أملاك الدولة العثمانية ظناً منه بأن تلك الخطوة ربما تؤدي إلى إنهاء المسألة الشرقية بشكل نهائي ، فعرض فكرته تلك على السفير الإنجليزي في «بطرسبرج» ، «السير هاملتون سيمور» موضحاً انهيار الدولة العثمانية وأنها لم تعد كما كانت ، وإنما أصبحت رجلاً مريضاً للغاية ينبغي التصرف في ممتلكاته قبل وقوع أي حادث[٣] .

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص٢٠٨ ؛ علي حسون : المرجع السابق ، ص١٠٧ .

(٢) علي حسون : المرجع السابق ، ص٧٧ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٢٨٨ - ٢٨٩ .

فما الأسباب التي دفعت روسيا إلى التقرب من بريطانيا في هذا الوقت لاقتسام أملاك الدولة العثمانية ؟ .

السبب الأول : حلم قياصرة روسيا في القضاء على الدولة العثمانية ، والذي كان القيصر الروسي «نيقولا الأول» يريد تحقيقه لاحتلال المضايق مفتعلاً الحروب ضدها ، وخوفاً من طموح محمد علي في القضاء على الدولة والإحلال محلها كدولة قوية حالف العثمانيين ضده مع أنه لا تزال لديه الرغبة في اقتسامها ، فحين خمدت ثورة عام ١٢٦٥هـ - ١٨٤٨م(*)، وجدها فرصة مناسبة لتحقيق ذلك ، وخاصة أن النمسا ممتنة له لإخضاعها المجر ، وبروسيا دولة صديقة ، أما فرنسا فلم تكن تملك روح المغامرة لخوض حرب خارجية تحت حكم لويس نابليون ، فلم يعد هناك سوى بريطانيا حليفة الأمس ضد نابليون ، فما المانع في أن تكون حليفة اليوم في اقتسام ميراث الرجل المريض[١] .

أما السبب الثاني : فيتمثل في إحاطة بريطانيا لروسيا بشكل مستمر من أقصى الشرق إلى الغرب ، فأينما اتجهت روسيا للتوسع تجد بريطانيا لها بالمرصاد تردعها عسكرياً أو دبلوماسياً، إضافة إلى تفوق بريطانيا البحري في البحر المتوسط وغيره من البحار ، والذي كان يثير روسيا لعدم امتلاكها أسطولاً قوياً ، بل كان أسطولها ضعيفاً للغاية ومحجوزاً في البحر الأسود، ولذلك أدرك القيصر الروسي أن الامتداد الروسي لا يمكن أن يتم إلا بإيجاد صيغة تفاهم مع بريطانيا بالذات[٢]. محاولاً استخدام جميع الأساليب لكسب الود البريطاني فلم يجد سوى فرنسا ؛

(*) للمزيد من التفاصيل حول الثورة المجرية انظر : عبد المجيد نعنعي . **أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ١٢٥٣هـ - ١٨٤٨م** ، ص ٣٤٢ .

(١) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠١ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٤٦ - ٣٤٩ .

لعلمه بمخاوف بريطانيا من سياستها النشطة فيما وراء حدودها ، ومن ثم فإنها لن تتخلى عن روسيا ؛ أو تصطدم بها للحفاظ على التفاهم الأوربي ضد النشاط الفرنسي ؛ علماً بأن بريطانيا كانت تخشى من تسلم لويس نابليون الحكم ومنافسة بريطانيا في إقامة خطوط حديدية حديثة في مصر ، وخاصة مشروع مد خط حديدي بين الإسكندرية والقاهرة والسويس الذي لاقى معارضة شديدة من قبل فرنسا ، ومشروع شق قناة السويس الذي كان مضاداً للمشروعات البريطانية(١) .

أما السبب الثالث : فهو أنه عندما تخلت روسيا مضطرة عن معاهدة «هنكار إسكلسي» التي عقدتها مع الدولة العثمانية عام ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م(٢) ، لإصرار بريطانيا على إبطال مفعولها ، زادت قناعة الروس بسلوك هذا الاتجاه في أعقاب نجاح بريطانيا في عقد اتفاقية المضايق عام ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م(٣) ، والتي أوقفت انطلاق الأسطول الروسي الحربي إلى البحر المتوسط في حين استمرت معاهدة «بلطة ليمان» عام ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م(٤) ، بين بريطانيا والدولة العثمانية سارية المفعول فاتحة الأسواق العثمانية على مصراعيها أمام الإنجليز(٥) .

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار : المرجع نفسه ، ص٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٢) للمزيد من التفاصيل حول معاهدة «هنكار إسكلسي» انظر :

- Hurewitz .J., oP. cit ., P. 105 ;

- Thomas .E. Marston . , oP . cit . , P. 43 .

(٣) للمزيد من التفاصيل حول اتفاقية المضايق انظر :

- عبد العزيز الشناوي . **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، ج١ ، ص٢٢٢-٢٢٤ .

(٤) انظر مواد معاهدة . بلطة ليمان في :-

- سليمان محمد الغنام : المرجع السابق ، ص١٥٣ - ١٥٥ .

(٥) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٤٩ ؛ وانظر أيضاً :

- حسين خلف الشيخ خزعل . **تاريخ الكويت السياسي** ، ج٢ ، ص١٠٢ .

هذا الوضع يؤكد للمرة الثانية أن السبب الاقتصادي هو السبب المباشر لوقوع حرب القرم ، حيث أضر ذلك بالاقتصاد الروسي .

فالتحالف بين الدولتين الروسية والعثمانية في حد ذاته تكتل خطير كل الخطورة على المصالح البريطانية سواء في العراق أو في مصر أو في الشام والأناضول أو في البحر المتوسط بصفة خاصة[١] .

وللأسباب الآنفة ، أقنع القيصر الروسي السفير الإنجليزي باتخاذ التدابير الضرورية لتجنب وقوع حرب أوربية تكون نتائجها اختلال التوازن الأوربي ، موضحاً أنه ليس لدى روسيا رغبة في تأسيس مملكة يونانية أو إقامة جمهوريات صغيرة على أنقاض الدولة العثمانية ، وإنما لديها الرغبة في تسوية الأمر بين روسيا وإنجلترا سلمياً دون الحاجة إلى وقوع حرب بين الطرفين ، فقدم مشروعه للتقسيم متضمناً الآتي :

١ - استقلال الأفلاق والبغدان والصرب وبلغاريا في البلقان بحيث تكون تحت حماية روسيا .

٢ - أن تكون إستانبول تحت الاحتلال الروسي بصورة مؤقتة دون أن تضم إلى روسيا بحيث ترابط قوات روسية في البسفور وقوات نمساوية ترابط في الدردنيل[٢] مؤكداً أهميتها للمصالح الروسية ، وأن أي محاولة لتقسيم أملاك الدولة العثمانية لابد وأن ينص فيها على أن تكون إستانبول لروسيا ، وبهذه الصورة فإن مصالح روسيا في الدولة العثمانية تنحصر في أمرين ، السيادة

(١) عبد العزيز سليمان نوار . **تاريخ العراق الحديث** ، ص٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٨ - ٣٨٩ .

العقائدية في فلسطين، والسيادة السياسية في إستانبول ، فهذه الظروف التي كانت روسيا تتحاور خلالها مع العثمانيين والإنجليز حول مصالحها[١] .

٣ - مقابل سكوت بريطانيا عن أعمال روسيا ضد العثمانيين عليها أن تحتل مصر وقبرص ورودس وكريت أيضاً مع إسقاط حق الفرنسيين في ذلك[٢] .

وبإلقاء الضوء على مشروع القيصر الروسي يتبين من خلاله إصرار القيصر على استقلال ولايات البلقان ، ولكنه استقلال مشروط بحماية روسيا ؛ لأن حصول تلك الولايات على الاستقلال دون حمايتها سيمنعها من التدخل وسيحول بينها وبين تحقيق مآربها وممارسة حقوقها في تلك البقاع . وكان للأسباب الاقتصادية دور بارز في فرض روسيا لهذا الشرط للاستيلاء عليها والتحكم في مصادرها ، أما بالنسبة لاحتلال إستانبول فيبدو أن روسيا كانت تفكر في عملية التوازن الدولي مع بقية دول أوربا ولاسيما في مقابل احتلال بريطانيا لمصر وقبرص ورودس وكريت وجميعها مناطق ذات أهمية حيوية كبيرة.

وعلى الرغم من ذلك فإن بريطانيا لم تتجاوب مع مشروع القيصر ولم تكن تميل إليه لأسباب أهمها ، تمسكها بسياستها في المحافظة على أملاك الدولة العثمانية ، وتعارضه مع سياسة بريطانيا القائمة على أساس منع روسيا من الوصول على مياه البحر الأبيض المتوسط ؛ لمصالح بريطانيا الكثيرة فيه خوفاً من تهديد القوات الروسية للأسطول الإنجليزي في ذلك البحر ، وإذا كانت بريطانيا في هذه الحقبة لم تقبل بالعرض الروسي فإنها في عام ١٣٣٥هـ - ١٩١٦م خلال الحرب

---

(١) جمال محمود حجر . **المشرق الإسلامي في إستراتيجية الدعاية السوفييتية ١٩١٧ - ١٩٣٨م** ، ص١٩ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٨ ، ٣٨٩ .

العالمية الأولى سلمت بوجهة النظر الروسية وقبلت عرضها في معاهدة «سايكس بيكو»[1] إلى جانب حرص بريطانيا على عدم حدوث أي تغييرات جذرية في أوربا تعكر صفو السلام وتخل بالتوازن الأوربي[2] .

فاقتنعت بريطانيا بأن بقاء الدولة العثمانية التي وصفت بالرجل المريض من قبل روسيا أفضل من اقتسامها ، واعتبر الإنجليز أن نظرية الرجل المريض لم تكن موجودة إلا في مخيلة الروس ، وأنها ليست مقنعة ، مؤكداً ذلك اللورد بالمرستون الذي شغل منصب وزارة الخارجية عام ١٢٣٦هـ - ١٨٤٦م ، وكان سياسياً حازماً تجاه كل من فرنسا وروسيا[3].

إضافة إلى أن بريطانيا كانت تشك في إخلاص القيصر حيث علمت بأنه عرض وبالسر على فرنسا تسهيل أمر استيلائها على تونس ليقوى نفوذها في المغرب وعلى جزيرة كريت لتراقب تحركات بريطانيا في جزيرة مالطة[4] .

ويذكر أن سبب تصرف روسيا بهذه الصورة يعود إلى عدم إصغاء بريطانيا لمطالب الروس ، فأشاروا للفرنسيين أيضاً بتساهلهم إزاء فلسطين ، إلا أن نابليون لم يصغ لما قدمه الروس من عروض وذلك لاهتمامه بعودة مجد فرنسا السابق في أوربا ، فحاول إقناع الإنجليز بضرورة مقاومة خطر الروس الذي كان يشكل تهديداً لمستعمرات بريطانيا في الهند وطريق مصر[5] لعلمه بأن بريطانيا تهتم بالطريق

---

(١) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٣ ؛ انظر أيضاً :

- جلال يحيى . **العالم العربي الحديث** (المدخل) ، جـ١ ، ص١٧٣ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٥٠ .

(٤) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٥) علي حسون : المرجع السابق : ص١٠٩ - ١١٠ .

البري المصري ، بل إن ذلك الاهتمام يفسر إلى حد كبير تمسكها بسياستها التقليدية في المحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية ، تلك السياسة التي كانت تتغير حسب الظروف المهمة والتطورات التي تحدث في الدولة العثمانية(١) .

أما بالنسبة إلى إستانبول فكانت وجهة نظر بريطانيا تتلخص في أن وقوعها في قبضة دولة أوربية قوية أو ضعيفة سيؤثر في استمرار الوضع الراهن الذي يمنع انهيار الدولة بما يتركه من تعقيدات دولية خطيرة ، ولذلك تجنبته الدول الكبرى(٢) .

كما رأت بريطانيا أن بقاء الدولة العثمانية الضعيفة التي تسيطر على الطريقين التجاريين الرئيسين المؤديين إلى الشرق خير من وقوعهما في أيدي دولة قوية تهدد المصالح الإنجليزية في الصميم وتشكل خطراً عليها(٣)، وحتى لا تنفرد روسيا بالغنيمة ، وذلك لقربها الجغرافي وقدرتها الهائلة على الاستيعاب والابتلاع ، وخاصة أن بريطانيا في ذلك الوقت لم تكن تملك الإمكانات الكبيرة للسيطرة على مستعمرات جديدة مكتفية بمكاسبها الدسمة في الهند وجنوب آسيا، ومن أجل تجنب وقوفها وجهاً لوجه مع الدب الروسي، أبقت على الدولة العثمانية كحاجز يمنع روسيا من الامتداد إلى الجنوب والشرق واستمرت في ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر(٤).

وقبل أن يصل جواب بريطانيا الرسمي احتل القيصر الروسي «نيقولا الأول» ولايتي الأفلاق والبغدان تحقيقاً لمشروعه السابق، مصرحاً للشعب الروسي «بأن

(١) عمر عبد العزيز عمر. **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر مصر (١٥١٧ - ١٩٥٢م) القضية الفلسطينية** ، ص٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٤٢ .

(٣) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٦ .

(٤) وليد محمد جرادات . **الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر** ، ص١٢٠ .

أجداده العظام قد اقسموا منذ القديم بالدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية أينما كانت»[١]، مما أدى إلى زيادة شكوك بريطانيا بنوايا روسيا ، التي برزت من خلال المحادثات بين الطرفين[٢] ، ولاسيما أن فرنسا المعارضة للمشروعات الروسية التوسعية كانت تسير على الخط السياسي الإنجليزي نفسه ، على الرغم من تأزم المواقف وتعددها بين فرنسا وبريطانيا في بعض الأماكن[٣].

فما الدوافع التي أدت إلى احتلال ولايتي الأفلاق والبغدان ، وما علاقة ذلك ببعثة منتشيكوف ؟

ب - بعثة منتشيكوف عام ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م :

نوهنا سابقاً بأن القيصر الروسي لم يلق تجاوباً لمشروع التقسيم الذي عرضه على بريطانيا ، ودون أن يصل إلى تفاهم بخصوص منح الروس مفاتيح كنيسة بيت لحم ، سارع بإرسال الأمير الروسي «منتشيكوف» إلى الآستانة وهو قائد الأسطول المرابط في بحر البلطيق ووزير البحرية وحاكم فنلندا، سفيراً مفوضاً، له صلاحيات فوق العادة، وبصحبته قائد الأسطول الروسي في البحر الأسود وأمير «بسارابيا» ورئيس أركان الحرب ، مما آثار مخاوف الدول الأوربية وخاصة أن «منتشيكوف» قام باستعراض الجيش الروسي المرابط في «بسارابيا» القريبة من الحدود العثمانية ، وتفتيش أسطول البحر الأسود قبل زيارته للأستانة العاصمة العثمانية[٤] لزيادة التأثير والإيهام على أفكار رجال الدولة وعظمائها[٥] مطالباً باعتراف الدولة

(١) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠١ .
(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٨٨ - ٣٨٩ .
(٣) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٥٣ .
(٤) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٤ .
(٥) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص٤٩٣ .

العثمانية بحق الروس في حماية المسيحيين في البلقان، وتوقيع معاهدة بين الدولتين تجعل لروسيا وضعاً متميزاً يسوّغ لها التدخل في شؤون العثمانيين الداخلية، معنى ذلك إيجاد مسوّغ لإعلان الحرب على الدولة العثمانية[١] . إضافة إلى اعتراف الدولة أيضاً بأن يكون البطريرك الأرثوذكسي رئيساً روحياً مستقلاً[٢] فكان هذا هدف زيارته الحقيقي ، أما الهدف الظاهري من الزيارة فهو التوصل إلى تسوية مسألتي الجبل الأسود والأراضي المقدسة[٣]، وذلك بالحصول على «فرمان» يعيد التفوق الروسي في القدس إلى سابق عهده قبل عام ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م لأن روسيا لن تسكت على التفوق الفرنسي القائم هناك ، وأن روسيا لا تسعى إلى ضم أي جزء من أراضي الدولة العثمانية مؤكدة على حسن نواياها تجاهها[٤] .

ولكن الدولة العثمانية أصرت على رفض مطالب الروس أو الاستجابة لها بشأن حقوق الروس الأرثوذكس في الأراضي المقدسة التي تضمنتها مذكرة «منتشيكوف» القوية إلى السلطان العثماني ، فتدخل السفير الإنجليزي «دي رد كليف» في الآستانة محاولاً إثناء الدولة العثمانية عن إصرارها مقترحاً استجابة الدولة لرغبة روسيا في منحها مفاتيح بيت المقدس التافهة نسبياً ، دون منحها الحق في رعاية المسيحيين في البلقان[٥] ، فمنح الروس الحق في حماية المسيحيين الأرثوذكس سيؤدي حتماً إلى ضياع استقلال الدولة العثمانية ، وخاصة أن روسيا

---

(١) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٦-١٧ .
(٢) علي حسون : المرجع السابق ، ص١٠٩ .
(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٤ .
(٤) جمال محمود حجر : المرجع السابق ، ص١٩ .
(٥) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٦-١٧ .

أرادت إسقاط سلطة السلطان في عزل البطارقة الذين كان لهم نفوذ سياسي كبير إلى جانب نفوذهم الديني بهدف تقسيم الدولة وانهيارها[١].

ومع ذلك ازداد تمسك الدولة العثمانية بإصرارها على اعتبار أن بريطانيا لن تتركها لوحدها في حالة وقوع حرب بينها وبين روسيا ، لأن قبول مطالب الروس يشكل خطورة على مستقبل الدولة ويتعارض مع استقلالها ويتناقض أيضاً مع معاهدة المضايق لعام ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م ، وبناءً على نصيحة بريطانيا للدولة العثمانية بالتساهل مع الروس نوعاً ما، أظهرت الدولة العثمانية استعداداً لقبول بعض المطالب الروسية ، فوعدتهم بإصدار فرمان لصالح الكنيسة الأرثوذكسية في إستانبول ، والسماح لروسيا ببناء كنيسة ومستشفى في القدس ونتيجة لموقف الدولة العثمانية الرافض انتهت مهمة منتشيكوف الدبلوماسية[٢] .

وعلى الرغم من انتهاء مهمته الظاهرية إلا أنه لم يغادر الآستانة بل قدم إنذاراً شديد اللهجة إلى الباب العالي بتاريخ ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م ، يتضمن عدة مقترحات من بينها عقد محالفة بينه وبين السلطان على أن يعترف بحماية روسيا لجميع الرعايا المسيحيين ، وتجديد معاهدة «هنكار إسكلسي» وإغلاق المضايق أمام سفن فرنسا وإنجلترا[٣] ، إضافة إلى عزل فؤاد باشا وزير الخارجية العثماني المعروف بعدائه الشديد لروسيا لتسهيل المخابرات بين الدولتين[٤] .

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٥ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع الساق ، ص١٦-١٧ ؛ محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٦.

(٣) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق : ص٢٠٤ ؛ محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٥.

(٤) السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٨٠ .

وحدد موعداً لانتهاء الإنذار بخمسة أيام ، مهدداً بالانسحاب إذا لم تجب مطالبه ، فحار الباب العالي بخصوص الإنذار ؛ لأن قبوله يعني وضع الدولة تحت حماية وتدخل روسيا العلني ورفضه يعني الحرب التي لم تكن مستعدة لها ، فأطلع «رشيد باشا» الذي كان يتولى منصب الصدارة سفيري فرنسا وبريطانيا على الإنذار على الرغم من سريته لمعرفة رأيهما في الأمر ، فأرشداه إلى رفضه باسم الدولة ، مما ترتب عليه انسحاب المندوب الروسي من الآستانة مع أفراد سفارته ، وبعد أسبوع من ذلك الحدث قطعت روسيا علاقاتها الدبلوماسية مع الدولة العثمانية، واحتلت ولايتي الأفلاق والبغدان «مولدافيا وولاشيا»(١) .

وأرسلت الحكومة الروسية منشوراً إلى وكلائها لدى الدول الأجنبية تبين لهم فيه الأسباب التي حملتها على الشروع في احتلالهما(٢) من أجل الضغط على الدولة العثمانية ، ووضع الدول الأوربية أمام الأمر الواقع ، وخاصة أمام ضعف الدولة وضعف جيوشها من جهة واستحالة قيام تحالف بريطاني فرنسي ضدها ، وحياد النمسا وبروسيا ووجود قطيعة بينهما فكانت مطمئنة للقيام بهذه العملية السريعة ، ولكن بريطانيا التي منعت الحرب في أثناء الأزمة المصرية، جرت روسيا إليها في هذه الحقبة، فسارعت بريطانيا وفرنسا بإرسال أساطيلهما ناحية الشرق فرسا الأسطول البريطاني في «مالطة» أما الأسطول الفرنسي فقد رسا في «سلامين» ببلاد اليونان(٣).

---

(١) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٤ ؛ محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٦ - ١٧ .

(٢) السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٨١ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٦ - ٣٩٧ ؛ علي حسون : المرجع السابق ، ص١١٠ .

وذلك لتوجيه ضغط مباشر على اليونان لكي لا تتضامن مع روسيا ، فتحرك اليونان كان من الممكن أن يؤدي إلى حدوث ثورات قوية ولاسيما أن الجيوش الروسية كانت على الأبواب ، والتحرك اليوناني كان على شكل تحرك صليبي مما سيؤدي إلى وقوع حرب شديدة الضراوة والتخريب وذبح مروع للمسلمين في البلقان ، ومن ثم ستعلو مكانة روسيا واليونان على اعتبار أنهما الزعيمتان لتلبية الدعوة الصليبية ، فيتأزم الصراع الدولي وتزداد حدته بشكل يجعل موقف الأوربيين حرجاً أمام الشرق الإسلامي عامة ، بل إن التحرك اليوناني سيؤدي إلى فتح جبهة قتال جديدة مما يجعل الجيوش العثمانية شبه عاجزة عن المقاومة الناجحة ؛ لأنها ستكون مضطرة إلى القتال على ثلاث جبهات جبهة شرق الأناضول وجبهة البلقان الشمالية وجبهة اليونان[١] .

وخلاصة القول ، إن روسيا حملت السفير الإنجليزي «دي رد كليف» مسؤولية ما جرى بسبب نفوذه القوي ، وطالبت بانسحابه من العاصمة ؛ لأنه هو من أشار على السلطان العثماني برفض مطالبها مع موافقته عليها عندما كان «رد كليف» خارج الآستانة زاعمة بأن احتلال الأفلاق والبغدان أمر مؤقت ، فهي ترغب في الاحتفاظ بهما كرهينة حتى تخضع الدولة العثمانية لمطالبها[٢] بدليل أن منتشيكوف حاول أن يخفف من حدة الموقف بعد تقديمه لذلك الإنذار فعرض على العثمانيين إرسال رسالة إلى الحكومة الروسية بقبول مطالب الروس دون الحاجة إلى عقد اتفاقية تتعلق بهذه المطالب[٣] .

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٦٠ - ٣٦١ .
(٢) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٥ .
(٣) السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٨١ .

ج - **موقف النمسا من احتلال روسيا للأفلاق والبغدان :**

أظهرت النمسا عدم رضاها عن احتلال روسيا للأفلاق والبغدان ؛ لأن ذلك سيؤدي إلى انهيار الدولة العثمانية ، كما سيؤدي إلى انتصار القوميات وازدياد النفوذ الروسي في البلقان التي كان لها فيها مصالح كثيرة ، فاحتلال ولايتي «الدانوب» أضر بتجارة النمسا بشكل كبير[١] .

ولكنها شعرت بحرج موقفها من عدة جوانب :

أولاً : لامتنانها للقيصر الروسي الذي يعود له الفضل في إخماد ثورة المجر عام ١٢٦٥هـ - ١٨٤٨م السابق ذكرها[٢] لدرجة أن أصبح مركز «فرنسوا جوزيف» حرجاً وحائراً أيتحد مع روسيا ضد الدولة العلية لمجرد رد الجميل بمثله مع تعارضه لمصالح بلاده ، أم أنه يراعي المصلحة السياسية فقط[٣] .

ثانياً : خشية النمسا من التحريض الروسي لأتباعها السلافيين .

ثالثاً : أن النمسا لا تستطيع أن تقف مكتوفة اليدين وهي ترى تقسيم أملاك الدولة العثمانية دون الحصول على فائدة من ذلك ، فقد كانت تسعى إلى كسب نفوذ لها في البلقان ، وتخاف من نوايا روسيا ومطامعها فيها بإحلالها محل السلطنة العثمانية .

رابعاً : الخوف من إثارة فرنسا وبريطانيا للأقليات العنصرية في الإمبراطورية النمساوية ضدها[٤] .

ومن هذا المنطلق أبدت النمسا استعداداً للقيام بمحاولة لإنقاذ الموقف

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٨ .

(٢) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق : ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٣) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق : ص٤٩٦ .

(٤) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق : ص٢٠٥-٢٠٦.

والحيلولة دون وقوع صدام بين الطرفين ، مما قد يؤدي إلى انتصار روسيا ووقوع البلقان في قبضتها . ففضلت أن تقوم بدور الوسيط ، فدعت إلى عقد مؤتمر من جميع الدول المعنية في (فينا) للتقريب بين وجهات النظر المختلفة والمتعارضة . فاتفق جميع السفراء على حل عرضته النمسا على كل من روسيا والدولة العثمانية بصيغة ترضي الطرفين المتنازعين، وذلك بإعلان حماية المسيحيين في البلقان دون الاعتراف بتدخل روسيا في شؤونهم ، على أن يعد السلطان العثماني بالمحافظة على معاهدتي «كوجوك قاينارجه وأدرنه» السابقتين فيما يختص بحماية الديانة المسيحية[1] . إلا أن السلطان العثماني رفض ذلك رفضاً تاماً ، كما رفض قبول المذكرة الروسية لتشككه في المقصود من نصوصها ، وطالب بإجراء بعض التعديلات عليها ، غير أن حكومة بطرسبرج رفضت تلك التعديلات ، وردت بإرسال مفكرة أوضحت فيها الأسباب الداعية إلى الرفض ، ومن خلال ذلك علمت الدول العظمى أن روسيا مصرة على تحقيق نواياها ، وأنها لا تريد التنازل عن أي شيء من مقاصدها ، حينئذ فقدت بريطانيا الأمل من حل المسألة بالطرق السلمية فانفض المؤتمرون دون جدوى ؛ لأن المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود وذلك لاختلاف وجهات النظر، وعندما اتضح للجميع سوء نية روسيا، شجعت إنجلترا وفرنسا الباب العالي على عدم قبول طلباتها أو التساهل في قضية حماية الأرثوذكس ، ولهذا وجدت روسيا أن بريطانيا وفرنسا تتربصان بها وتصران على منعها من حماية رعاياها، فازدادت الأمور تعقيداً بين الجانبين وخاصة حين طلب الباب العالي من القيصر الروسي ضرورة الانسحاب من الأفلاق والبغدان، فكان رد القيصر إعلان الحرب[2]

(١) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٧ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٨ - ٣٩٩ ؛ عبد العزيز سليمان نوار . "«**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٤٥ - ٣٤٦ .

فأعلنت الدولة العثمانية الحرب أيضاً ضد روسيا في تشرين الأول عام ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م[١] .

د- الموقف الأوربي من إعلان الحرب عام ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م :

أثار موقف روسيا المتشدد استفزاز الدولة العثمانية ، فأعلنت الحرب عليها ، كما ذكرنا، عام ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م ، ولم يكن باستطاعة بريطانيا وقفها على الرغم مما بذلته من جهود ، وفي الوقت نفسه ألقيت عليها مسؤولية التدخل لإنقاذ الدولة، وذلك تطبيقاً لسياسة المحافظة عليها من ناحية ، ومن ناحية أخرى لمقاومة أي توسع روسي يخشى من حدوثه[٢] .

أما «نابليون الثالث» إمبراطور فرنسا فقد وجدها فرصة مناسبة لتحقيق نصر يخلد اسمه ويخلص فرنسا أيضاً من قيود معاهدة «فينا» عام ١٢٣١هـ - ١٨١٥م الثقيلة المفروضة عليها عن طريق مساندتها لبريطانيا في هذه الحرب ، إلى جانب دعم المصالح الفرنسية في الشرق ، وإرضاء الكاثوليك أيضاً ، ولهذا وجدت فرنسا أن عليها أن تخوض الحرب[٣] .

ولكن البعض يضعف فكرة أن يكون المجد الحربي هو الباعث لاشتراك «نابليون الثالث» في الحرب ، بل إن ذلك إجحاف بحقه لأن الشعب الفرنسي كانت لديه رغبة قوية في السلام مصممة على العمل على تحقيقه لإصلاح الأوضاع في داخل فرنسا ، كما أراد «نابليون» مساعدة الإيطاليين على تحقيق أمانيهم القومية ، إلى جانب رغبته الأكيدة في تجنب الأخطاء التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية

---

(١) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق : ص٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٨ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٧ .

الفرنسية الأولى ، ولما كانت بريطانيا سيدة البحار هي السبب في إسقاط الإمبراطورية الفرنسية ، وجد «نابليون الثالث» أن من الحكمة التحالف معها عاقداً العزم على ذلك حتى لو أدى إلى اشتباكه في حرب مع روسيا معتمداً على كراهية فرنسا للروس ، فلم يكونوا أقل بطشاً من الغير ، فنظم الحكم في بلادهم استبدادية وهم أمة منشقة عن الإيمان الصحيح[1] . بينما جاهدت النمسا لعدم وقوع الحرب ، ولكنها حارت بين الدخول في المعمعة أو الوقوف على الحياد ، والوقوف على الحياد ليس بالأمر السهل والحرب تدور على حدودها ، وعلى الرغم من تطور الأحداث ، إلا أن النمسا تمسكت بمسالة الحياد ، ولم يرغب الملك البروسي في دخول الحرب ؛ لأن بروسيا أمة ضعيفة لا تستطيع المشاركة في حرب أوربية قد تزيدها ضعفاً ، فجنب ملك بروسيا الشعب البروسي هذا الصراع بالتزامه الحياد ، ولاسيما أن بروسيا لم يكن لها مصالح مباشرة في أراضي الدولة العثمانية[2] ولم يكن بإمكانها أيضاً دخول الحرب ضد روسيا ؛ لأن اشتراكها في المعركة يضع حاجزاً قوياً بين روسيا والدول الغربية فقط ، أما النمسا فإن تعبئتها فيها تهديد لروسيا وصرف لقدراتها العسكرية عن القرم ، وهذا هو الفرق بين موقف كل من النمسا وبروسيا[3].

الحرب عام ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م

اتفق السلطان العثماني واللورد «ستراتورد» على تقديم إنذار لروسيا بإخلاء ولايتي الأفلاق والبغدان (إقليم الطونة)، وحددا موعداً لتنفيذه مدته خمسة عشر يوماً، فإذا

(١) هـ.أ.ل - فشر : المرجع السابق ، ص٢٢٢ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٧ .

(٣) **الصراع على السيادة في أوربا ١٨٤٨- ١٩١٨م** : ترجمة كاظم هاشم نعمة ، يوئيل يوسف عزيز ، ص١٠٦ .

انقضت تلك المدة بتجاهل روسيا ورفضها للإنذار العثماني عدّ عملها إعلاناً للحرب[١].

وبالفعل جهزت الدولة العثمانية جيشاً مكوناً من بعض القوات المصرية لمساعدتها على حرب القرم ، والتي وصلت إلى الآستانة بعد فترة قصيرة ، وذلك لتحسن العلاقات بين الدولة العثمانية وعباس باشا التي شابها نوع من التوتر في وقت ما[٢] فكانت تلك الجيوش محط إعجاب السفراء الأجانب ومن بينهم سفير إسبانيا حيث أشارت الوثيقة إلى «أنه في يوم الثلاثاء ١٨ ذي القعدة عام ١٢٦٩هـ وفد على المعسكر سفير إسبانيا الحائز على رتبة الفريق لرؤية الجنود ، فأظهر إعجابه بهم وأطرى همة ولي النعم إطراء زائداً وعقب على ذلك قائلاً : إن الاتفاق الذي ظهرت به الأمة الإسلامية بما فيه في الوقت الحاضر نال استحسان جميع الأمم ، وأن الدائر على الألسنة أنه لم يحدث مثل هذا الاتفاق منذ العهد القديم»[٣].

ولم تكن مصر الوحيدة التي قدمت المساعدة للسلطنة العثمانية في هذه الحرب بل إن تونس أيضاً قامت ببناء أسطول تونسي اشترك مع الدولة العثمانية في حرب القرم ، إضافة إلى تقديمها معونة عسكرية ومبلغاً من المال للسلطان العثماني[٤] .

ولأهمية هذه الحرب فقد قام السلطان العثماني «عبد المجيد» بزيارة القوات

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٩ ؛ عمر الإسكندري وسليم حسن : المرجع السابق ، ص١٠٥ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٩١ .

(٣) تركيا ، بحر برا ، محفظه ١٨ بحر برا ، وثيقة ١٢٢ من سليم باشا إلى كاتب الديوان الخديوي ٥ آخر ذي القعدة ١٢٦٩هـ ؛ محفظة ١٨ بحر برا ، وثيقة ١٢٣ من الفريق سليم إلى الجناب العالي عمر باشا المسير الأعظم لجيش روم ايلي و المقيم في سمنر ، ٢١ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ، الموافق يوم السبت .

(٤) إسماعيل أحمد ياغي - محمود شاكر . **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر** ، ج٣ ، قارة إفريقية ، ص٩٤ ، ص٩٧ ؛ جلال يحيى : المرجع السابق ، ص٢١٨ - ٢١٩ .

المشاركة في الحرب حسب ما ورد في الوثيقة «إن حضرة صاحب الجلالة مولانا سلطان العالمين سيشرف الجنود بزيارته الكريمة يوم الثلاثاء ٢٦ ذي القعدة عام ١٢٦٩هـ ، فإننا قمنا بالاستعداد اللازم لهذه الزيارة الميمونة» ثم أخذت طلائع الموكب السلطاني في الظهور ، وما إن وطئت قدماه اليابسة حتى أخذت كل سفينة من سفن الأسطول الهمايوني والمصري في إطلاق مدافعها(١) .

ثم خطب فيهم السلطان قائلاً «لقد سررنا أيما سرور من إخلاصكم للدولة العلية ومن حضوركم وسعيكم براً وبحراً، كما أننا قد أتينا إليكم لنراكم واستقبلتمونا من جهتكم فاغتبطنا جداً لذلك ، وفي الحقيقة فإن «عباس باشا» منذ توليه قد جعلني ممنوناً جداً منه بما أداه من الخدمات وإني أقدر خدمته هذه بصفة خاصة ، وإني معجب بالجنود أنهم مع هيئتهم الحاضرة مع كونهم في حالة سفر . وقد دعا السلطان لهم بالخير وتمنى أن يعودوا إلى أوطانهم بعد الحرب سالمين ، كما أصدر أوامره إلى القائد العام (سر عسكر) أن يتولى جميع أسباب راحتهم ، وقد أبلغ السر عسكر أن الجنود قد نالوا إعجاب الذات السلطانية وحازوا المفاخر الذاتية(٢) . إلى جانب أنهم نالوا استحسان جميع الدول والملل»"(٣).

وفي الوقت نفسه أرسلت الدولة العثمانية بعض السفن حاملة السلاح لتوزيعه على قبائل القوقاز الثائرة على الحكم الروسي(٤) كما أرسلت بريطانيا وفرنسا بعض

---

(١) الوثيقة السابقة : محفظة ١٨ بحر برا ، وثيقة ١٢٢.

(٢) الوثيقة نفسها : محفظة ١٨ بحر برا ، وثيقة ١٢٢ .

(٣) محفظة ١٨ بحر برا ، وثيقة ١٢٢ ، من إسماعيل الكاتب إلى الجناب السامي ، تقرير عن الحوادث اليومية التي حدثت بالمعسكر المقام في صحراء «طوفان» الكامنة جهة تلبور ابتداءً من ذي القعدة عام ١٢٦٩هـ ، اليوم ٢٨ .

(٤) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٦ .

أسطولهما إلى مياه الدردنيل في أواخر أكتوبر عام ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م ، لحماية الآستانة ودعم موقف الدولة العثمانية ، فاصطدم الجيش العثماني بالجيش الروسي وانتصر عليه عند «أولتانيجه» بينما عبر جيش عثماني آخر الحدود مع روسيا من جهة القوقاز مسيطراً على قلعة «سان نيقولا» ولكن هذا العمل لم يحل بين الأسطول الروسي وبين إغراق الأسطول العثماني أمام ميناء «سينوب» التركي في البحر الأسود[١] .

فعدت هذه الكارثة إهانة لإستانبول ولندن أثارت سخطهما وأدت إلى حدوث مظاهرات في إستانبول تطالب بالثأر من روسيا[٢] لأنها وعدت وتعهدت بعدم القيام بأي عمل عدواني في البحر الأسود، فتحمست الصحف الفرنسية والإنجليزية بالكتابة ضدها لارتكابها هذا العمل العدائي الذي يخالف أي قانون من قوانين الحرب، واصفة روسيا بأنها عدوة للحرية ينبغي مناهضتها للقضاء على استبدادها[٣] .

عندها التقى القيصر الروسي «نيقولا الأول» بفرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا مبدياً له الخوف من تدخل فرنسا وبريطانيا لصالح الدولة العثمانية ، راغباً في عقد تحالف بينهما ، ولكن الإمبراطور النمساوي رفض طلب القيصر على أساس أن من مصلحة النمسا الوقوف على الحياد ، والغريب في الأمر حقاً محاولة فرنسا إقناع القيصر الروسي بإيجاد حل سلمي للموضوع بمراسلة «نابليون الثالث» للقيصر الروسي في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني عام ١٨٥٤م - ١٢٧١هـ، عارضاً عليه عقد مؤتمر للنظر في أمر الصلح بشرط أن تقوم روسيا بإخلاء الأفلاق

---

(١) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٨ - ١٩ .

(٢) السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٩٤ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٣٩٩ - ٤٠٠ .

والبغدان من الجيش الروسي ، وفي المقابل تسحب فرنسا وبريطانيا أساطيلهما من البحر الأسود ، ولكن القيصر الروسي رفض عرض الصلح هذا ، وأمر سفراء روسيا لدى فرنسا وإنجلترا بترك مقر وظائفهما ، ولتصلبه أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب الصريحة على روسيا في الرابع من شهر أذار عام ١٨٥٤م - ١٢٧١هـ ، في حين وقعت مع الدولة العثمانية في الثاني عشر من نفس الشهر اتفاقية حرب عرفت باتفاقية الآستانة ضدها(١) .

وكان من أهم بنودها :

١ - أن تقوم القوات الإنجليزية والفرنسية بحماية الأراضي العثمانية سواء في أوربا أو آسيا ضد روسيا نزولاً عند رغبة الحكومة العثمانية .

٢ - في حالة حدوث اتصالات مباشرة أو غير مباشرة مع الجانب الروسي على الدول المتعاقدة إعلام بعضها البعض بخصوص تلك المحادثات .

٣ - أن يكون لدى بريطانيا وفرنسا علم بمفاوضات العثمانيين مع روسيا لعقد هدنة أو صلح أو اتفاقية ، وينبغي أخذ موافقتهما على ذلك .

٤ - على القوات الفرنسية التي كان عددها ٥٠ ألف جندي فرنسي والإنجليزية وعددها ٥٢ ألف جندي إنجليزي الجلاء عن جميع المواقع وتسليمها للدولة

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع نفسه ، ص٣٩٩ - ٤٠٠ ؛ وانظر أيضاً : محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص٤٩٩ ، وقد جاء في كتاب الإمبراطور الفرنسي ما فحواه [إذا رفضت جلالتكم هذا الاقتراح فتضطر فرنسا عندئذ كما انجلترا إلى أن تترك الأمر إلى السلاح ومخاطر الحرب ما كان يمكن أن يصير حله حالياً عن طريق الحق والتعقل] ، وكان جواب القيصر على ذلك هو [إن الروسيا تعرف تماماً كيف إنها ستكون في العام ١٨٥٤م مثلما كانت في العام ١٨١٢م] .

- انظر بخصوص ذلك : سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص٢٣٦ - ٢٣٧ .

العثمانية بعد انتهاء الهدف الذي عقدت من أجله هذه المعاهدة ، وبعد عقد الصلح والسلام بأربعين يوماً .

٥ - أن تتكفل الدولة العثمانية بتوفير التموين والنقل للقوات الإنجليزية والفرنسية على طول خطوط المواصلات دون تدخل من قبلها حتى تكون القوات الإنجليزية والفرنسية حرة التصرف .

٦ - وبما أن بريطانيا وفرنسا هما المسؤولتان عن القيادة ، فعلى الدولة العثمانية الابتعاد عن القيام بأي عملية حربية ضد روسيا إلا بموافقتهما(١) .

ولذلك وجدت بريطانيا وفرنسا أن إرسال أساطيلهما لحماية الآستانة لا يكفي، بل لابد من القيام بعمل عسكري لوقف اعتداء روسيا على الدولة العثمانية وإضعاف قوتها العسكرية في أوربا ، وأن تحقيق ذلك يتوقف على اختيار الميدان المناسب للقتال ، والذي كان مشكلة بالنسبة إليهما(٢) .

كما هددت النمسا وبروسيا روسيا بالحرب إذا لم تسحب جيوشها من الأفلاق والبغدان ، ولاسيما أنها كانت تثير مخاوف النمسا من نتائج تفوقها في البلقان ، فرضخ القيصر الروسي لرغبة النمسا بناءً على نصيحة ملك بروسيا «فريدريك وليم الرابع» بالانسحاب من الأفلاق والبغدان لإبعاد النمسا عن التحالف مع فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية ، فخاب ظن القيصر الروسي إزاء النمسا لأن المصالح النمساوية كانت أقوى من جميل روسيا عندما قامت الجيوش الروسية بالقضاء على الثورة المجرية الآنفة دون أي مقابل ، ولهذا عدّ الانسحاب الروسي من الأفلاق

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٥٥ - ٣٥٦ ؛ علي حسون : المرجع السابق ، ص١١٢ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٨ - ١٩ .

والبغدان نصراً سياسياً للنمسا ولكن على حساب العداوة بينها وبين روسيا ، والتي من الممكن أن تتطور إلى حرب تخوضها النمسا منفردة أمامها ، ومن ثم صار على النمسا أن تحتاط للأمر بتغطيته سياسياً وعسكرياً مفضلة الوقوف على الحياد بعد انسحاب الروس من ولايتي الدانوب ، وإجراء مفاوضات بينها وبين روسيا بخصوص مستقبل الولايتين .. اتفق فيها الطرفان على أن تتولى النمسا إدارتهما ريثما تنتهي الحرب[1] ولم تعترض روسيا ضد هذا الاحتلال خوفاً من إغضاب النمسا ودخولها في التحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جيوش النمسا فيهما على وجود العثمانيين أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب[2] .

واتفقت على ذلك مع الحلفاء ، ولجعل الوجود النمساوي في الأفلاق والبغدان شرعياً ، وافقت على صد الهجمات الروسية عنهما ومساعدتهم على الحرب ، في حين أقنعت بروسيا التي كانت ضد السياسة النمساوية حكومات الاتحاد الألماني بمعاكسة النمسا إلا إذا وافقت بريطانيا وفرنسا على وقف الحرب وعدم دخول قواتهما الأفلاق والبغدان ، وبالفعل أبدى الحلفاء موافقتهم على وقف الحرب على الجبهة الدانوبية ، فهدأت الأحوال هناك عقب ذلك مباشرة[3] .

كان من الممكن أن تنتهي الحرب بانسحاب روسيا من الأفلاق والبغدان ، ولكن انتهاءها بهذه الصورة لم يكن ليرضي التحالف الإنجلوفرنسي ؛ لأنه لن يؤدي إلى أي نتيجة فاعلة لوقف الاعتداء الروسي ، فتوصلتا إلى أن التصرف الحكيم يكمن في

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٦٢ ؛ محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠١ .

(٢) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص٥٠٣ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠١ .

مواصلة القتال في أحد الميادين الصغيرة والبعيدة عن الميادين الواسعة والطويلة الأمد، كذلك الحال بالنسبة إلى روسيا التي لم تكن تملك من القوات سوى ٣٥٠ ألف جندي[(١)].

وقبل التحدث عن سير المعركة لابد من استعراض الأهداف المقصودة من هذه الحرب.

أ - أهداف الحرب المقصودة :

في هذه المرحلة جرت مفاوضات بين النمسا وفرنسا لتحديد الأهداف المرجوة من الحرب التي ضمنت في مذكرة تم عرضها على الدولة العثمانية وروسيا، وكان أهم نقاطها ما يأتي :

أولاً : رفع الحماية الروسية عن ولايتي الدانوب (الأفلاق والبغدان) على أن يوافق الباب العالي على وضع ضمان أوربي لها .

ثانياً : أن تكفل لجميع الدول الملاحة الحرة في نهر الدانوب .

ثالثاً : أن يوضع في الحسبان توازن القوى في أوربا عند إعادة النظر في اتفاقية المضايق لعام ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م بحيث تكون لصالح تلك القوى .

رابعاً : أن تتنازل روسيا للدولة العثمانية عن حقها الذي تدعي فيه حماية الرعايا المسيحيين ، على أن تعد الدولة العثمانية ممثلة في السلطان العثماني الدول الأوربية بتحسين أحوال رعاياها المسيحيين[(٢)] .

وبناءً على نصيحة بريطانيا وبعد تردد قبلت الدولة العثمانية هذه المذكرة ، في حين رفضتها روسيا ؛ لأنها لا تحقق السلام العالمي[(٣)] بل إنها ستقضي على

(١) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٨-١٩ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص١٩ .

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٣ .

الوجود العسكري الروسي البحري في البحر الأسود مع أنه بحيرة روسية في نظرهم ، وستشكل ضربة قوية لمكانة روسيا ، ومن ثم الهبوط بها إلى مرتبة الدولة الثانوية ، إلى جانب عدّ الدولة العثمانية وعلى حسابهم عنصراً من عناصر التوازن الدولي[١] .

وعلى الرغم من ذلك وافق الروس على بعض النقاط برفضهم تطبيق النقطة الثالثة ؛ لأن قبولها معناه إلغاء جميع المعاهدات السابقة ، وتدمير منشآتهم البحرية الروسية في البحر الأسود، وهي النقطة التي عدّها الحلفاء مهمة جداً لما لتفوق القوات الروسية في البحر الأسود من أثر بالغ على الدولة العثمانية ، والذي كان سينعكس بدوره على التوازن الدولي في أوربا[٢] .

أما فوائدها على بريطانيا فهي كثيرة ، فقد سخر وزير الخارجية البريطاني بالمرستون كلاً من النمسا وفرنسا لخدمة المصالح البريطانية وهو الذي قال في تعليقه على المذكرة النمساوية - الفرنسية في ١٤ نوفمبر عام ١٨٥٥م - ١٢٧٢هـ أنها «من أجلنا ولكن من دوننا»، أما محتوى المذكرة فقد تضمن لب القضية التي تهم إنجلترا بالدرجة الأولى وخصوصاً ما يتعلق بعزل روسيا خلف الدردنيل مع تحييد البحر الأسود ، لقد كان الرأي العام البريطاني يدعم سياسة بالمرستون نحو روسيا دون أن يعلم بتفاصيل دبلوماسيتها التي مارسها سراً في حرب القرم ، ومع أن شرط تحييد البحر الأسود لم يكن مرغوباً فيه من الأطراف الروسية والفرنسية والنمساوية ، إلا أن بالمرستون فرضه إرضاء للرأي العام البريطاني[٣] .

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢٠ .

(٣) جمال محمود حجر : المرجع السابق ، ص٢٠ - ٢١ .

أما على فرنسا فقد كانت فوائدها ضئيلة القيمة وهي التي سيقع عليها العبء الأكبر في تقديم القوات المقاتلة ، فظن نابليون أن الفائدة التي سيجنيها من اتحاده مع البريطانيين الأقوياء في هذه المغامرة هي مساعدته على ترسيخ دعائم عرشه الجديد المزعزع الأركان(١) .

وهذا يؤكد الفكرة المطروحة سابقاً ، وهي أن هدف نابليون من المشاركة في الحرب تخليد اسمه أولاً، ثم إعادة فرنسا إلى سابق عهدها كقوة فاعلة لها دورها في الشرق ، وخاصة أن الثورة الفرنسية وحربها في أوربا أضعفتا نفوذها كما سبق بيانه .

ب - سير المعركة :

استعرضنا سابقاً تصميم بريطانيا وفرنسا على مواصلة القتال في أحد الميادين الصغيرة البعيدة عن الميادين الواسعة والطويلة الأمد ، فوقع اختيار الحلفاء إنجلترا وفرنسا والدولة العثمانية على ميناء «سباستبول» الروسي الواقع في شبه جزيرة القرم ، والذي كان قاعدة انطلاق كبيرة للبحرية الروسية ليكون مركزاً للعمليات العسكرية ضدها، فالعمليات الحربية ستكون محدودة المجال تمنع تشتت الجيوش الإنجليزية والفرنسية في مساحات روسيا الشاسعة ، وتضفي قدراً أكبر من النجاح للخطة الفرنسية والإنجليزية القائمة على الهجوم البحري للقضاء على قوتها البحرية في البحر الأسود تنفيذاً للهدف الثالث من أهداف الحرب على عكس ما كان يتصوره الروس(٢) .

---

(١) هـ . أ . ل . فشر : المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٦٢ ؛ محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠١ .

وبهذه الخطة اختلفت حساباتهم فلم تعد جبهة البلقان الجبهة المقصودة . فاتضح تفوق الحلفاء بإنزالهم ما يقرب من ٣٥ ألف جندي في شبه جزيرة القرم[١] الذين كانت لهم القوات الروسية بالمرصاد لمنعهم من الاقتراب من ميناء «سباستبول» دون فائدة تذكر حيث تمكنت القوات المتحالفة من إلحاق الهزيمة بالقوات الروسية في موقعة «الما»[٢] التي نتج عنها إغراق الأسطول الروسي وضربه في ميناء «سباستبول» فأدرك القيصر الروسي أن القضاء على الوجود البحري الروسي في المنطقة هو ما تسعى بريطانيا إلى تحقيقه ، فشعر بالخطر الحقيقي لأن ضياع مستقبل روسيا السياسي أصبح وشيكاً[٣] فتعين على الحلفاء بعد هذا النصر ملاحقة الروس مباشرة ومهاجمة ميناء «سباستبول» إلا أنهم لم يقوموا بهذه الخطوة ، التي أشار إليها الخبراء العسكريون بقولهم إنهم لو فعلوا ذلك لتمكنوا من دخول المدينة دون جهد كبير يذكر[٤] ظناً منهم أن القائد الروسي «تدلين» سيتمكن من صدهم بما يملكه من قوة ، والذي كان مرابطاً في تلك المدينة ذات الاستحكامات القوية والمتينة التي وضعوا لها ألف حساب ، فغيروا وجهتهم نحو الجنوب لملاءمته لإنزال القوات المتحالفة، ثم إعادة الهجوم على المدينة[٥] بفرض الحصار على الميناء براً وبحراً[٦].

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٩٢ : يذكر محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص٥٠٣ ، أن عدد الجنود كان ستين ألف جندي من الفرنساويين والعثمانيين والإنجليز والمصريين .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢٠ .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٦٣ .

(٤) علي حسون : المرجع السابق ، ص١١٤ .

(٥) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٢ .

(٦) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢٠ .

ولقد أدت العوامل المناخية دوراً قوياً في عدم التوصل إلى حل حاسم ، ففصل الشتاء القارص البرودة ، والذي كان له أثره في القوات المتحالفة التي قاست من برودته الشديدة دون أن تحتاط لذلك الأمر ، حتى إن نابليون الثالث فكر في مهاجمة الروس للانتصار عليهم بقيادة إحدى الفرق بنفسه ، ولكن الإنجليز صرفوه عن تنفيذ فكرته خوفاً من ازدياد نفوذه في الدولة العثمانية[١] وانفراده بالقيام بمثل هذا العمل الدولي الخطير بالمشاركة في تلك العملية الهجومية ، فرجحت بذلك كفة الدول الحليفة[٢] . فاحتلوا حصن «ملاكوف» الذي هيأ لهم الطريق لحصار الميناء ، الذي لم يكن حصاراً محكماً لأن الروس أمدوا المدينة بما تحتاج إليه من ذخائر ومؤن بين آونة وأخرى ، بل إن «منتشيكوف» القائد الروسي أنزل الخسائر الفادحة عند مقاومته للقوات المتحالفة ، كما استولى الروس على «قارص» في شرق الأناضول ذات الموقع الإستراتيجي المهم ، وبذلك رجحت كفتهم في جبهة القوقاز[٣] .

والواقع أن الأساطيل الفرنسية والبريطانية عجزت عن الدفاع الذي استمات من أجله الطرفان ، فلا الروس طردوا الحلفاء من شبه جزيرة القرم ، ولا الحلفاء استولوا على ميناء «سباستبول» فأدرك الطرفان المتحالفان في هذه المرحلة من الحرب أنهما يواجهان حرباً برية قد يطول مداها بحيث ترهقهما من الناحية الاقتصادية والعسكرية ، وخاصة أن خطوط المواصلات بينهما وبين الأرض التي تقام عليها المعركة طويلة جداً ، ولذلك كانت بريطانيا وفرنسا بحاجة إلى حلفاء

(١) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٦ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٩١-١٩٢ .

(٣) أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٠ .

إيجابيين في المعركة للخروج من هذا المأزق ، فسعتا إلى كسب مملكة «سردينيا»[١] لإنقاذ الموقف ، بعد أن ترددت النمسا في دخول المعركة إلى جانب الحلفاء ، ويبدو أن مملكة سردينيا «بيد مونت» دفعتها الظروف التي كانت تمر بها للاشتراك في الحرب[٢].

فقرر «كافور» رئيس وزرائها الاشتراك في حرب القرم لأنه فطن إلى أهمية اكتساب رضاء فرنسا وبريطانيا لتنفيذ مقاصده السياسية في المستقبل والمتمثلة في تحقيق الوحدة الإيطالية ، وعلى الرغم من أنه لم تكن «لبيد مونت» أي مصلحة مباشرة من وراء ذلك إلا أن «كافور» عجل في إرسال نحو ١٨,٠٠٠ مقاتل إلى القرم في مايو عام ١٨٥٥م - ١٢٧٢هـ[٣] وأشار البعض إلى أن عدد القوات السردينية المشاركة في الحرب بلغ نحو ١٥,٠٠٠ مقاتل[٤] ومهما يكن فالملاحظ من خلال الأرقام المدرجة سابقاً أن الجيش السرديني صغير للغاية ، ولكنه مع ذلك فقد كانت لديه قدرة قتالية عالية ستعزز من مكانة قوات الحلفاء ، وستؤمن للنمسا وضعاً أمنياً فعلياً في إيطاليا[٥] .

فرحبت بريطانيا وفرنسا بتلك القوات التي تقدم العون العسكري البري للحلفاء[٦] واستمر الوضع متعادلاً بين الجانبين حتى يونيو عام ١٨٥٥م - ١٢٧٢هـ[٧]،

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٦٣ - ٣٦٥ .
(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٣ .
(٣) عمر الإسكندري وسليم حسن : المرجع السابق ، ص١٠٧ - ١٠٨ .
(٤) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٦٥ .
(٥) الصراع على السيادة في أوربا : المرجع السابق ، ص١٠٣ .
(٦) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٦٣ - ٣٦٥ .
(٧) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢٠ .

والذي أسفر عن سقوط «سباستبول» في الثامن من شهر كانون الأول بعد أن شدد الحلفاء الحصار عليها ، ففتحت أبوابها على أثر انسحاب الجيش الروسي منها في ١٩ أيلول عام ١٨٥٥م - ١٢٧٢هـ ، ويقال إنه في أثناء الحصار توفي القيصر الروسي «نيقولا الأول» ليخلفه القيصر الروسي «الإسكندر الثاني» وعلى الرغم من الانتصار الساحق لجيوش الحلفاء إلا أنهم لم يستولوا إلا على أنقاض وركام[1] .

ويعلق المؤرخ الإنجليزي «فشر» في كتابه «تاريخ أوربا في العصر الحديث» على حصار «سباستبول» بقوله: «إنها مغامرة جنونية فليس هناك سبب معقول لكي يضيع الحلفاء جندياً واحداً أو جنيهاً واحداً على حصار مدينة «سباستبول» وحتى لو كتب النصر للحلفاء وفتحوها فإن ذلك لن يؤثر تأثيراً محسوساً في موارد روسيا الضخمة ، بالإضافة إلى أن هدف الحملة كان أحمق ، ومما زاد الطين بلة أن طرق الوصول إلى تلك الفرضة كانت مروعة إلى جانب أن الترك قد طردوا الروس من وادي الدانوب من غير معونة أجنبية ، وذهب بذلك كل خطر عليهم يأتي من تقدم الروس صوب الآستانة»[2] .

وليس ذلك فحسب بل كان من الممكن أن تنتهي الحرب عند انسحاب روسيا من ولايتي الدانوب ، كما ذكر سابقاً ، ولكن تعنت بريطانيا وصلفها هو الذي أدى إلى استمرار الحرب ؛ لأنها أصرت على ضرورة إضعاف روسيا وإضعاف قواتها البحرية في البحر الأسود ، بل القضاء عليها تماماً ، ويبدو أن هذا الإصرار استمر ساري المفعول حتى عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م حين تم تحطيم الأساطيل الروسية في

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٢ ؛ أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٦ .

(٢) هـ . أ . ل . فشر : المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

الحرب الروسية اليابانية(*). فبريطانيا لم يكن هدفها إنهاء الحرب فقط وبقاء روسيا على ما هي عليه قوية : وإنما القضاء قضاء تاماً على تلك القوة بإعادة النظر في اتفاقية المضايق عام ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م ، وتحديد القوات الروسية في البحر الأسود وتحطيمها . والذي كان الشغل الشاغل لبريطانيا ، ولعله كان السبب الحقيقي لدخولها حرب القرم[١] .

ج - عوامل إنهاء الحرب :

أولاً : انتشار مرض الكوليرا الذي قضى على جيش الحلفاء مع تفوقهم برياً من حيث العدد والعدة ، فكانت رغبتهم في إنهاء الحرب عن طريق الضغط السياسي على روسيا[٢] .

ثانياً : فوز الحلفاء بريطانيا وفرنسا في تحطيم الأسطول الروسي ، وبذلك أصبحت السيطرة البحرية الكاملة بيدهم في البحر الأسود ، وهكذا زال الخطر الروسي للقيام بأي دور في البحر المتوسط ، فرفض الحلفاء التقدم وراء سباستبول مكتفين بالنصر الذي أحرزوه هناك[٣] .

ثالثاً : رغبة القيصر الروسي «الإسكندر الثاني» في الصلح وميله إلى السلام وتفكيره الدائم في مصالح روسيا ، وخاصة عندما بدأت مواردها تشح[٤] .

(*) وللمزيد من التفاصيل حول الحرب الروسية اليابانية انظر : نادية وليد الدوسري . **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي ١٢٩٧هـ - ١٣٢٥هـ - ١٨٨٠م - ١٩٠٧م** ، ص٢٢٤ - ٢٣٢ .

(١) جمال محمود حجر : المرجع السابق ، ص٢٠ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢١ .

(٣) أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٠ .

(٤) **الصراع على السيادة في أوربا** : المرجع السابق ، ص١٠٨ - ١٠٩ .

وتأسيساً على ذلك أصبح هناك أمل في التفاوض لحل القضية سياسياً بين الأطراف المتقاتلة[١] ومع أن النمسا كانت تفضل تطبيق النقاط الأربع المقصودة من الحرب التي سبقت الإشارة إليها وتنفيذها من قبل روسيا ، إلا أنها لم تكن ترغب في دخول الحرب إلى جانب الحلفاء ، والتي كان يعول عليها في تهديد روسيا حربياً لإجبارها على حشد قواتها العسكرية الكبيرة على الحدود بينهما ، مما سيترتب عليه تخفيف الضغط الروسي على العمليات العسكرية في شبه جزيرة القرم[٢] .

فلما علمت النمسا بأن هناك مفاوضات سرية تجري بين الإمبراطور الفرنسي «نابليون» وحكومة القيصر الروسي «الإسكندر الثاني» لتصفية الجو السياسي المعقد بين الحكومتين ، شعرت بخطورة أن يكون هناك تقارب روسي فرنسي بينهما ، فوجدت أن تلك الاتصالات السرية بينهما لها آثار بالغة الخطورة في إضعاف مكانة النمسا الدولية أولاً ، ثم فقدانها لدور الوسيط الذي كانت تستعد للقيام به ثانياً[٣] ؛ لأن ذلك سيمنح فرنسا فرصة كبيرة للتدخل في أمور إيطاليا لمصلحتها وعلى حساب النفوذ النمساوي ، لذلك قررت التدخل وعقد معاهدة مع بريطانيا وفرنسا مقابل اعترافهما بمركزها في إيطاليا ، هذه المعاهدة التي كانت موجهة في الأصل لروسيا بإلزام فرنسا العمل ضدها في حالة مهاجمتها للدولة العثمانية ، فقد تضمنت نصاً سرياً يساعد فرنسا على أن تظل في جانب الحلفاء عملياً وفي جانب روسيا ظاهرياً ، ويؤكد ذلك أن بريطانيا لا تكاد ترى فرصة لمحاصرة روسيا إلا وسلكتها ، على الرغم من أن ملك بروسيا «فريد ريك غليوم وليم

(١) علي حسون : المرجع السابق ، ص١١٥ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢١ .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» المرجع السابق ، ص٣٦٩ - ٣٧٠ .

الرابع» عارض ذلك مفضلاً البقاء خارج دائرة الحرب[١] .

فنصت تلك الاتفاقية المعقودة بين النمسا والحلفاء (فرنسا وبريطانيا) على فرض النقاط الأربع على روسيا . وتوقيع صلح معهم قبل انقضاء عام ١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م ، وفي حالة عدم قبولها بذلك يتشاور الحلفاء فيما بينهم لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحقيق ما تصبو إليه من أهداف ، فكان ذلك دافعاً لقبول روسيا النقاط الأربع التي تضمنتها الاتفاقية السابقة وقبولها أيضاً التنازل عن تفوقها في البحر الأسود بناءً على ما اتفق عليه الحلفاء من ضرورة الاعتراف بذلك ، حينئذ شعروا بخيبة أمل لاعتقادهم أن روسيا لن ترضى بقبول هذا الطلب ومن ثم ستضطر النمسا إلى دخول الحرب إلى جانبهم[٢] .

والحقيقة أن روسيا وافقت على المطلب الأخير لإدراكها خطورة انضمام النمسا إلى جانب الحلفاء في الحرب ضدها وهو ما كانت تسعى لتجنبه طوال مراحلها، وبذلك نجحت في تفويت فرصة ذهبية عليهم لجر النمسا إلى دول الحرب، وبقبولها شرط الهزيمة وقعت مقدمات الصلح مضطرة في أول فبراير عام ١٨٥٦م - ١٢٧٣هـ، فتبنت النمسا توجيه الدعوة لعقد مؤتمر سلام يعقد في باريس[٣].

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٣ - ٤٠٤ ؛ جمال محمود حجر : المرجع السابق، ص٢١ .

(٢) محفظة ١٨ بحر برا ، وثيقة ١٢٣ من الفريق سليم إلى الجناب العالي عمر باشا المسير الأعظم لجيش روم ايلي والمقيم في سمنر ، ٢١ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ ، الموافق يوم السبت ؛ وانظر أيضاً . **الصراع على السيادة في أوربا** : المرجع السابق ، ص١٠٧ .

(٣) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢١ ، ٢٣ ؛ أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٠ .

د- مؤتمر باريس في ٢٥ فبراير عام ١٨٥٦م - ١٢٧٣هـ :

سعى هذا المؤتمر الذي عقد في ٢٥ فبراير عام ١٨٥٦م - ١٢٧٣هـ إلى توقيع الشروط المتفق عليها بمؤتمر الصلح ، وكان الهدف الحقيقي من عقده هو النظر في مستقبل الدولة العثمانية ، ولقد حقق المؤتمرون فوائد كثيرة من خلال اجتماعاتهم التي أسفرت عن توقيع معاهدة باريس في الثلاثين من شهر مارس - آذار عام ١٨٥٦م - ١٢٧٣هـ(١) والتي أنهت حرب القرم ، فلم تعد قضية الأماكن المقدسة وغيرها من القضايا التي أوقدت الحرب مهمة في هذه الحقبة(٢) .

وكان أهم ما جاء فيها :

أولاً : احترام استقلال الدولة العثمانية وعدم المساس بممتلكاتها :

والواقع أن معاهدة باريس هي أولى المعاهدات التي وقعتها الدولة العثمانية دون إضعاف لقدراتها الدفاعية أو اقتطاع لأي شيء من ممتلكاتها ، بل تبوأت الدولة العثمانية بفضلها مركزاً مرموقاً أكثر من ذي قبل بوقوف الدول الأوربية إلى جانب الدولة ضد روسيا ، بحيث ضمنت عدم تدخلها في إدارة الشؤون الداخلية فيها(٣) .

ثانياً : إعلان حيدة البحر الأسود :

معناه أن يصبح إنشاء المصانع الحربية أو إقامة الحصون على شواطئ البحر الأسود أو بناء الأساطيل الحربية محظوراً على روسيا، إضافة إلى تجريده من

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٥ ؛ وانظر أيضاً : مصطفى الحفناوي . **قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة** ، حرية الملاحة في القناة ، ج٣، ص٤٩٠ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٧٢ .

(٣) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢٣ .

السلاح على ألا يسمح بظهور السفن الحربية ، والسماح فقط للسفن التجارية من أي جنسية بعبور مياهه وموانئه[1] .

والحقيقة أن روسيا لم تعارض موضوع الحيدة : لأنه كان في الواقع أمراً مسلماً به في ذلك الحين لتحطيم القوة البحرية الروسية في «سباستبول» ولذلك شعرت روسيا بالمرارة من موقف بريطانيا وفرنسا تجاهها مما ترتب عليه عدم اهتمامها بالقضايا المتعلقة بأوربا لمدة طويلة[2] .

فالبحر الأسود خاصة والمسألة الشرقية عامة بالنسبة إلى السياسة الخارجية الروسية قضيتان في غاية الأهمية لهم منذ القرن الثامن عشر ، غير أن عرقلة مشروعاتها في هذه المنطقة صرفتها عن الشؤون الأوربية إلى الاهتمام بالشؤون الآسيوية ، فتوسعت في أواسط آسيا ولاسيما في فارس وأفغانستان والشرق الأقصى بعد أن حيل بينها وبين البحر الأسود ، مما ترتب عليه تضخم حجم إمبراطوريتها في ذلك الوقت[3].

كما نظرت روسيا إلى الحياد على أنه محاولة لإعادة تعادل ميزان القوى آنذاك ، والإبقاء عليه ، بل أصبح من الواجب تغييره بحيث يعد الروس بالنظر إلى البحر الأسود دائماً بوجود الأساطيل الفرنسية والإنجليزية تبحر فيه مع اختفائها ، وعلى الرغم من أن تنفيذ الحياد لم يتم إجراؤه ، فلم يكن هناك داعٍ للحياد ما دام هناك حسن نية لدى الروس ، ويشار إلى أنه لم يسبق أن فرض على أي دولة عظمى

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٥ .

(٢) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢٣ - ٢٤ .

(٣) محمد محمود السروجي : المرجع نفسه ، ص٢٣ - ٢٤ ؛ أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق، ص٢٠٨ .

إجبارها على نزع السلاح باستثناء ما فرضه «نابليون الأول» على بروسيا عام ١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م ، ولكن الحلفاء عدّوا روسيا دولة شبه آسيوية وبمستوى الدولة العثمانية والصين تماماً ، ولو اعتبروها دولة أوربية حقاً لما تقدموا بمثل هذه الشروط التي أججت مشاعر الكراهية لدى الروس تجاه المعاهدة[١] .

وهكذا حافظت معاهدة باريس إلى حد كبير على السياسة العليا للدولة العثمانية حين جعلت البحر الأسود منطقة محرمة على السفن الحربية التابعة لجميع الدول بما فيها روسيا[٢] .

ثالثاً : أن تتعهد الدولة العثمانية بتحسين أحوال رعاياها المسيحيين في البلقان بشرط ألا تتدخل أي دولة خارجية في شؤونها الداخلية ، ومع ذلك التعهد إلا أن السلطان لم يف به فاستمرت شكاوى الرعايا المسيحيين في البلقان بتحسين أحوالهم .

رابعاً : الاعتراف بحرية الملاحة في نهر الطونة (الدانوب) وتأليف لجنة دولية للإشراف على تنظيم الملاحة فيه ، والتي كانت في صالح النمسا بحيث نجحت في إبعاد الروس وخطرهم عن مصب النهر، ولكنها في المقابل خسرت صداقة روسيا إلى الأبد[٣].

خامساً : إعادة «قارص» إلى الدولة العثمانية وتعديل الحدود بينها وبين روسيا في «بسارابيا» .

---

(١) **الصراع على السيادة في أوربا** : المرجع السابق ، ص١١٨ .

(٢) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

(٣) محمد محمود السروجي : المرجع السابق ، ص٢٤ ؛ محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٥ .

سادساً : قبول مبدأ التحكيم في حالة وقوع خلاف بين الدولة العثمانية وسائر الدول الأخرى للقضاء عليه قبل أن يؤدي استفحاله إلى حدوث حرب أوربية(١) .

كذلك تطرق المؤتمر إلى مسألة الأفلاق والبغدان والصرب بحيث يضمن إقامة حكم ذاتي فيهما تحت سيادة الدولة العثمانية بإبعاد روسيا عنهما وإلحاق ما تتخلى عنه من أراض في الأفلاق بالسيادة العثمانية(٢) إضافة إلى حفظ الإدارة الأهلية لهم وإنشاء ديوانين يكونان لمصلحة الأهالي ، على أن ترفع مقرراتهما لمجلس يناقشها ، مع ضرورة المحافظة على حرية التدين والتقاضي والتجارة والملاحة المائية بحيث تتكفل الدولة المتعاهدة بتنظيم الولايتين وبتأمين قوة أهلية مسلحة لحفظ الأمن فيهما(٣) .

وينبغي التنويه بأن معاهدة باريس عدّت نصراً حقيقياً لسياسة بريطانيا وفرنسا في المحافظة على سلامة أراضي الدولة العثمانية وسيادتها من شر الأطماع الروسية ، كما أكسب هذا المؤتمر «نابليون الثالث» الإمبراطور الفرنسي الفرصة للوصول إلى قمة المجد والقوة ، وفي أثناء انعقاده علم المؤتمرون بنوايا السلطان ورغبته في إصدار فرمان يكون في مصلحة المسيحيين المقيمين في أراضيه ، واعترافه بالمساواة التامة بينهم مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم(٤) .

كما علموا بأن السلطان سيعفو عن جميع رعاياه الذين وقفوا إلى جانب روسيا ضده خلال الحرب(٥) .

---

(١) محمد محمود السروجي : المرجع نفسه ، ص٢٤ - ٢٥ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٥.

(٣) علي حسون : المرجع السابق ، ص١١٧ .

(٤) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٦ .

(٥) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٧٣ .

والجدير بالذكر أن السلطان أصدر في هذه الأثناء برنامجه الإصلاحي الجديد متضمناً الخط الهمايوني الصادر في ١٨ فبراير عام ١٨٥٦م - ١٢٧٣هـ [١] بقصد الإصلاح الذي كان دافعاً قوياً لإصداره إلى جانب الضغط الأوربي[٢] .

ويبدو أن هدف السلطان من إصداره هو التخفيف من حدة التدخل الأجنبي أو إبقاء المبادرة في أيديهم ، أما هدف أوربا من وراء صدوره هو المزيد من التدخل لتنفيذ الإصلاحات مما جعل المسيحيين في الدولة يتطلعون إلى التدخل الأوربي أكثر من تطلعهم إلى السلطات العثمانية ، ولذلك انتقد من قبل شيخ الإسلام ، ورشيد باشا الصدر الأعظم ، لأنه يشكل خطراً على شرف السلطان واستقلال دولته وسلامتها ، وخاصة عندما أُلحق بصلح باريس[٣] بينما وجدت الغالبية العظمى من رعايا السلطان المسيحيين هذا الخط الهمايوني دليلاً على ضعف الدولة العثمانية[٤] .

أما المساواة الدينية التي تضمنها الخط فلم ترض كل الناس ، فبعض المسلمين نظروا إليها نظرة أسف ، واستنكف المسيحيون أن يسوى بينهم وبين اليهود، أما ما نص عليه الخط الهمايوني من تقاضي كبار رجال الدين المسيحي رواتب ثابتة ومنعهم من فرض هبات ومساهمات على رعاياهم فلم يجد ذلك النص قبولاً أو ترحيباً لديهم [٥] .

---

(١) أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل حول هذا الخط الهمايوني انظر : سيّار الجميل . **تكوين العرب الحديث**، ص٣٩٢ - ٣٩٥ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٩٣ .

(٣) أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٣ - ٢١٤ .

(٤) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» المرجع السابق ، ص١٩٤ .

(٥) أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٣ - ٢١٤ .

وعلى الرغم من ذلك فإن جميع التنظيمات والإصلاحات الصادرة عن السلطان العثماني كانت في مصلحة رعاياه من غير المسلمين الذين نالوا بفضل الضغط الأوربي على الدولة مكاسب لا حصر لها سهلت تمردهم عليها وقوتهم ضد المسلمين[1].

وهكذا نجح الحلفاء بواسطة تلك الشروط من إضعاف روسيا هدفهم الأساس من إشعال تلك الحرب ، والمحافظة على بقاء الدولة العثمانية حاجزاً بينها وبين البحر الأبيض المتوسط ، ولكن مما يؤخذ عليها عدم تعرضها للمشكلات التي كانت تحدث في الصرب والجبل الأسود ، فلم تتمكن الدولة العثمانية بسببها من التدخل العسكري عند حدوث اضطرابات أمنية فيهما إلا بموافقة الدول ، أما إقليم الصرب فصار بموجب ما نصت عليه تلك المعاهدة تابعاً للباب العالي بشرط أن يكون تحت كفالة الدول ، في محاولة لفصل تلك الأقاليم عن جسم الدولة العثمانية لتكون حاجزاً بينها وبين أوربا[2] .

وبسبب ضعف الدولة العثمانية والتدخل الأجنبي الذي كان في مصلحة رعاياها من أهل الذمة كان من رابع المستحيلات استخدام القوة لقمع تلك الثورات[3] .

وأخيراً انتهت الحرب وقد حيل بين الدولة العثمانية وبين الخطر الروسي الذي كان يتهددها ، وصار المطلوب منها لتصبح دولة متحدة ومتساوية مع بقية أعضاء الجماعة الدولية انضمامها إليهم وتطبيقها للأنظمة الدستورية المعروفة لدى الغرب[4] .

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» ، المرجع السابق ، ص١٩٤ ؛ انظر بخصوص الفتن بين المسلمين والمسيحيين ، محمود ثابت الشاذلي : المرجع السابق ، ص١٣٥ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٦ .

(٣) أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٥ .

(٤) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٦ ؛ على حسون : المرجع السابق ، ص١١٨ .

نتائج حرب القرم

انتهت حرب القرم بعقد معاهدة باريس عام ١٢٧٣هـ -١٨٥٦م التي سبق الإشارة إليها ، والتي كانت لها آثارها ونتائجها الواضحة على كل من الدولة العثمانية والبلقان والعلاقات الدولية بين روسيا والنمسا وبروسيا، وأيضاً على القرم، وسوف نتناول كلاً منها على حدة .

أ - نتائجها على الدولة العثمانية :

على الرغم من أن الدولة العثمانية استفادت من انقضاء حرب القرم في المحافظة على بقائها لنصف قرن آخر ، ومن عدم اقتطاع أي شيء من أراضيها ، وأكدت عمق العاطفة الدينية التي تربط مصر بالدولة العثمانية وذلك لشجاعة القوات المصرية خلال الحرب التي كانت مدعاة لإشادة قادة الجيش البريطاني والفرنسي إضافة إلى إشادة السلطان العثماني عبد المجيد بهم(١) إلا أن الدول الكبرى جنت من انتهائها الفائدة الكبرى ، وخاصة بانتهازها فرصة انشغال الدولة العثمانية بإصلاح أحوالها الداخلية للتآمر ضدها لإضعافها بإثارة القوميات التابعة لها للقيام بأعمال الشغب بهدف تحقيق انفصالها مخالفة بذلك أحد بنود معاهدة باريس القاضي بضرورة احترام سيادة الدولة واستقلالها وضمان المحافظة على تماسك ممتلكاتها حين اتفقت الدول الثلاث (إنجلترا - فرنسا - والنمسا) بالإجماع والإفراد بأن أي إخلال بشروط المعاهدة يعدّ دافعاً قوياً للقيام بالحرب ، وأن على الدولة العثمانية إجبار الدول على ضرورة التزام شروطها ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة لتحقيق ذلك، إلا أن ما تقرر في معاهدة باريس لم يؤخذ به بعد انقضاء هذا العام، فقد بدأت الدولة العثمانية تعاني المشكلات بسبب موقف الدول الأوربية منها،

(١) السعيد رزق حجاج : المرجع السابق ، ص١٧٥ .

والتي سعت بعد عام ١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م إلى تمزيقها ، وضم أجزاء من ممتلكاتها إليها ، ولم يعد الشرط المنصوص عليه في معاهدة باريس ، وهو المحافظة على استقلال الباب العالي وتماسك أملاكه ذا قيمة تذكر[١] إذ أرسل نابليون عام ١٢٧٧هـ - ١٨٦٠م حملة إلى لبنان[٢] .

ومن أبرز نتائجها كذلك على الدولة العثمانية ، ظهور ما سموا بالأحرار العثمانيين أو العثمانيين الجدد ، ولاسيما في عهد التنظيمات الذي بدأه «السلطان محمود» وزاده السلطان عبد المجيد تأكيداً بإصداره فرماني التنظيمات عامي ١٢٧١ - ١٢٧٣هـ / ١٨٥٤م - ١٨٥٦م ، وأعطاه الصفة الشرعية ، مما هيأ الظروف والمناخ المناسب لظهور الفساد الماسوني واستبعاد العمل بالشريعة الإسلامية ، والاعتماد على الفكر الغربي في الحياة والتقنين وإقامة المؤسسات[٣] .

وهكذا يتضح الخطأ الذي وقعت فيه الدولة العثمانية بابتعادها عن جوهر الدين وعن التزام مبادئه وتعاليمه الشرعية الإسلامية وإهمالها تطبيق ما جاءت به ، مما أورثها الضعف والاضمحلال وتآمر الدول ضدها بعكس ما كان عليه الحال في بداية ظهورها ، فالتزامها مبادئ الشريعة الإسلامية أكسبها المجد والرفعة والعز[٤].

كما كان من نتائجها العكسية أيضاً ، ظهور الروح القومية التي ظهر تأثيرها الواضح في بداية الأمر على الصرب واليونان والبلغار والأرمن ، لتنتهي عند العرب ، والتي كانت السبب في زيادة مطالبتهم بالاستقلال ، فكان لمصر ما أرادت بمنحها

---

(١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٧ .

(٢) وللمزيد من التفاصيل انظر : محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص٥٢٦ - ٥٢٩ .

(٣) **مذكرات السلطان عبد الحميد** : ترجمة وتعليق محمد حرب عبد الحميد ، ص٣ .

(٤) إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص١٣٧ .

الاستقلال الذاتي التام ، إضافة إلى لبنان والصرب ورومانيا ، إلى جانب بروز ما سمي باليقظة الأدبية التركية[١] .

ولا شك أن قناصل بريطانيا وفرنسا منحوا نفوذا ومكانة كبيرة كانت مثار غيرة الموظفين العثمانيين وذلك للامتيازات التي يتمتعون بها في هذه المنطقة وهم على غير ملتهم ، كما أنهم يفضحون اختلاسات بعض هؤلاء الموظفين أحياناً[٢] .

ويبدو أن الدولة توهمت أنها حققت أهدافها من هذه الحرب وأن المسألة الشرقية حلت نهائياً ، ولكن الواقع أن ذلك لم يحدث ، فالدولة العثمانية ظلت على ما هي عليه ولم تقم بالإصلاح الذي وعدت به[٣] ولم تسعف نفسها بالسير في ركب الحضارة الغربية على أسس حديثة[٤] وكانت في طريقها إلى الانحلال حين زادت حالتها المالية سوءاً ، وخاصة بعد أن فرضت الدول الكبرى الأوربية (فرنسا وإنجلترا) رقابة مالية قاسية عليها مما اضطرها منذ عام ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م إلى اتباع سياسة الاقتراض والاستدانة[٥] .

ولا ريب أن المقاومة الإنجليزية الفرنسية النمساوية الشديدة للنمو الروسي على حساب الدولة كانت هي السبب في تأخير تصفيتها[٦] ولكنها لم تثبت في نظر إنجلترا وأوربا صلاحيتها للبقاء ولم تعمل على تحسين حال رعاياها المسيحيين ولم

(١) أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص٢١٣ - ٢١٥.

(٢) *Marston . T . E ; o P . cit . , P . 163* .

(٣) عمر الإسكندري وسليم حسن : المرجع السابق ، ص١٠٨ .

(٤) عبد العزيز سليمان نوار . «**الشعوب الإسلامية**» المرجع السابق ، ص١٧٢ .

(٥) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص١٩ .

(٦) عبد العزيز سليمان نوار . **التاريخ المعاصر أوربا من الحرب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ - ١٩٤٥م** ، ص٨١ .

تستفد من الفرصة التي آتاحها لها صلح باريس عام ١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م ، في إصلاح شؤونها وتوطيد دعائم ملكها ، بل زادت تزعزعاً وضعفاً(١) .

ب - نتائجها على البلقان :

١ - الأفلاق والبغدان :

لقد كان الحكم العثماني في الأفلاق والبغدان ضعيفاً ومزعزعاً ، ولكن عندما نقلت الحماية عليهما من الدولة العثمانية إلى جميع الدول الأوربية أصبح الحكم العثماني مخيباً للآمال ، فقد ازداد الشعور القومي بفعل معاهدة باريس ونتائجها غير المرضية ، والتي أسفرت عن اتحادهما بتشكيل لجنة مشتركة لتنظيم شؤون الولايتين السابقتين ، والتي كانت حكومة شبه مستقلة أميرها «كوزا» الذي أعلن قيام دولة «رومانيا» من اتحاد الأفلاق والبغدن منذ عام ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م وقد استمرت حتى عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م مستقلة(٢) .

والسبب في ذلك يعود إلى عجز الحلفاء من إيقاف التقدم المطرد لحرية المسيحيين في البلقان أو الحيلولة دون استعادة روسيا قوتها البحرية في البحر الأسود ، ومن ثم تبنى «نابليون» مهمة رعاية إدارة رومانيا الجديدة ، منتهزاً انشغال بريطانيا في إخماد ثورة الهند لعام ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م ، والتي كانت ثورة مناهضة لسياسة إنجلترا الاستعمارية ، ويبدو أن هزيمة روسيا في حرب القرم ، وعقد معاهدة باريس ساعدا بريطانيا على قمع هذه الثورة لتصبح الهند تحت طائلة بريطانيا ورحمتها ، وذلك لعجز روسيا عن الاحتجاج على ذلك(٣) .

---

(١) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص٣١ - ٣٢ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٧ .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٧٥ - ٣٧٦ .

كما شنت بريطانيا في العام نفسه ١٢٧٤هـ - ١٢٧٥هـ / ١٨٥٧م - ١٨٥٨م ، حملة ضد فارس لموقفها المعادي للدولة العثمانية خلال حرب القرم وبتأييد من الدولة أولاً ، وثانياً لتهديد فارس للأطماع الاستعمارية البريطانية في أفغانستان[1].

٢ - الصرب والجبل الأسود :

ساعدت الدول الأوربية الصرب والجبل الأسود على الانفصال ، كما كان لها دور فيما كان يحدث في البوسنة والهرسك من شقاق ، والذي نتج عنه الحركات الانفصالية أبرزها كانت بزعامة أمير الصرب (ميلوش أوبرينوفتش) معلناً أن حكمه وراثي دون رغبة السلطان عام ١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م ، بل إن الصرب أصبحت في عهد خلفه ميخائيل على النمط الأوربي المتمدن ، كما أنه أجلى الحاميات العثمانية عن البلاد ، فلم يعد للدولة العثمانية أي سلطة ما عدا العلم العثماني الذي ظل مرفوعاً إلى جانب العلم الصربي فوق أسوار بلغراد ، أما إمارة الجبل الأسود ، فقد استمرت منفصلة ومتمسكة بانفصالها بفضل موقعها الجغرافي المنيع الذي أدى إلى إخفاق جميع محاولات الدولة العثمانية في عودة سيطرتها على الإمارة بفعل تدخل الدول الأوربية التي كانت تتربص بها لخلق المشكلات وافتعالها ضدها دون تورع ، والدليل على ذلك ما حدث في جزيرة كريت «وجده»[2] .

(١) هـ . أ . ل . فشر : المرجع السابق ، ص٢٢٥ - ٢٢٦ ؛ **الصراع على السيادة في أوربا** : المرجع السابق ، ص١٢٩ .

(٢) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص٤٠٨ ؛ علي حسون : المرجع السابق ، ص١١٨ - ١١٩ ، بخصوص ثورة كريت . انظر: حمدنا الله مصطفى حسن . **مصر والحرب الروسية التركية ١٨٧٧ - ١٨٨٧م** ، ص٧ .

وللمزيد من التفاصيل حول حادثة جده انظر : جميلة سعد زيد العيسى . **الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر ١٢١٣ - ١٢٨٦هـ - ١٧٩٨ - ١٨٦٩م**، ص١٠٤ - ١٠٩ .

ج - نتائجها على العلاقات الدولية بين روسيا والنمسا وبروسيا :

أما بالنسبة إلى روسيا فقد حطمت القوة الروسية التي كانت تعدّ حقيقة أسطورية ، فلم تكن تلك الحرب إلا غزواً من الغرب لروسيا ، وكانت الأكثر نجاحاً في سلسلة الحروب التي شنت ضدها والبالغ عددها خمس غزوات في تاريخها الحديث ، والتي انعكست آثارها السلبية على فقدان روسيا التفوق الذي كانت تتمتع به في برلين وفينا قبل عام ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م ، ولم تستعد ذلك التفوق حتى عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م ، ولم تكن روسيا تتمتع بعد عام ١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م بالثقل الذي اعتادت عليه قبل ذلك في الشؤون الأوربية ، بل قل ثقلها منذ الحرب الشمالية العظمى عام ١١٣٤هـ - ١٧٢١م حتى أصبح حكام أوربا وشعوبها لا يتمتعون بالحرية ليفعلوا في أوربا ما أرادوا ، فقد عدّوا حرب القرم حرب تحرير من طغيان روسيا وبفعل ذلك أصبحت أوربا في يد (نابليون الثالث) أولاً ثم في يد بسمارك من بعده ثانياً[١] ؛ لأن فرنسا وإنجلترا تمكنتا على الرغم من ضعف قوادهما والإمكانات المتواضعة لقواتهما من إذلال الحكم العسكري المطلق وقهره ، إلى جانب الثورات التي نتجت عن الفساد والعجز والتي كشفت النقاب عن ضعف روسيا ، ذلك الأمر الذي وصم الحكومة الروسية بالفضيحة[٢] .

والواقع أن تلك الحرب حطمت أيضاً التحالف الذي كان قائماً بين روسيا والنمسا بتركها للنمسا لتواجه منفردة تلك الأزمة التي تمثلت في ثورة القوى الوطنية القومية دون تدخل من قبلها كما حدث في أثناء ثورة المجر المشار إليها سابقاً، والتي

---

(١) **الصراع على السيادة في أوربا** : المرجع السابق ، ص١١٥ .

(٢) هارولد تمبرلي - أ - ج - جرانت . **أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ - ١٩٥٠م**، ج٢ ، ص٨ .

كان لها أثرها في عدم نجاح تلك الحركة ، وفي تماسك قوة الهابسبورج التي منعت روسيا من الانطلاق في شرق أوربا على حساب الإمبراطورية النمساوية[١] .

في حين أدى تباعد روسيا بعد حرب القرم عن النمسا والتي لم ترد لها معروفها ، بل اتبعت سياسة الحياد إلى نجاح تلك الحركات القومية في تحقيق أهدافها بالاستقلال في إيطاليا وألمانيا[٢].

بينما خرقت روسيا الشروط الخاصة بحيدة البحر الأسود بتشجيع من بروسيا التي بلغت أوج عظمتها بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاماً على عقد معاهدة باريس ، وبمساعدة من بسمارك الذي لم يتخذ جانب الحلفاء ضد روسيا في أثناء حرب القرم ، والتي كان لها أثرها الواضح في تطور العلاقة الطيبة مع روسيا بتأييدها بسمارك الذي أعاد لها جميلها بوقوفها على الحياد في الحرب الفرنسية البروسية والنمساوية[٣] .

وعلى الرغم من ذلك فإن حرب القرم حالت دون الامتداد الروسي نحو الآستانة مدة من الزمن فتوقفت توسعاتها نحو هذه الجهة لتبحث عن منفذ لتوسيع رقعتها في جهات أخرى[٤] .

كما أدت حرب القرم إلى ظهور شعور بالعداء ضد كل الأوربيين بوجه عام ، وليس الروس فقط على اعتبار أنهم أعداء للدولة العثمانية[٥] .

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٣٥١ ، ٣٧٥ .
(٢) أنور الرفاعي وآخرون : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .
(٣) **الصراع على السيادة في أوربا** : المرجع السابق ، ص١١٩ .
(٤) عمر الإسكندري وسليم حسن : المرجع السابق ، ص١٠٨ .
(٥) *Marston, T.E., op . cit ., PP.264-266.*

وبعد حرب القرم ١٢٧١ - ١٢٧٣هـ / ١٨٥٤م - ١٨٥٦م أصبح هناك تسابق روسي - نمساوي على وراثة الدولة العثمانية في البلقان ، إذ لم يعد وجه النمسا نحو ألمانيا وإنما وجدت النمسا مجالها الحيوي في البلقان ، فأصبحت أية تطورات في البلقان العثماني ذات حساسية شديدة لإمبراطورية النمسا والمجر ، في حين ركزت روسيا نشاطها في تزعم الحركة السلافية وهي حركة ضارة بكل من الدولة العثمانية وإمبراطورية النمسا والمجر حيث إنها كانت تهدف إلى استقلال الشعوب السلافية الواقعة تحت حكم هاتين الإمبراطوريتين ، وكانت المخاوف قوية من أن يؤدي ذلك إلى تقوية النفوذ الروسي في البلقان[١] .

والمهم في الأمر أن روسيا فقدت جزءاً كبيراً من أهميتها حين دخلت حرب القرم في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فبهزيمتها زال ما كان لها من نفوذ مهم في القارة الأوربية : لأن معاهدة باريس قيدتها فيما يختص بحريتها في البحر الأسود ، وأغلقت منافذ ذلك البحر أمامها ، ولذا كان هم الدولة الروسية موجهاً إلى التوغل في آسيا واستعادة حريتها في ذلك البحر ، وإلى تغيير الشروط الخاصة بمنافذه ، هذه الشروط التي تعدّها روسيا في غير مصلحتها[٢] .

ففي عام ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م أنكرت روسيا كل ما يتعلق ببنود معاهدة باريس الخاصة بالبحر الأسود ، فأذعنت جميع الدول الأوربية مضطرة لعدم قدرتها على منعه مع أنه عمل غير مشروع ، ولكنه كان التصرف الطبيعي لروسيا[٣] .

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار . «**التاريخ الحديث أوربا**» ، المرجع السابق ، ص٨٠ .

(٢) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص٤ - ٥ .

(٣) هـ . أ . ل . فشر : المرجع السابق . ص٢٢٥ - ٢٢٦ .

د - نتائجها على القرم :

لم تجن القرم أي فائدة من انتهاء حرب القرم ، ففي أثنائها كان لديها أمل عظيم في التحرر ، ولكن الظلام ظل مخيماً عليها حتى الحرب الروسية اليابانية عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م ، والتي عادت على القرم بالفائدة سياسياً حين تم عرض مظالمهم على الدوما (البرلمان الروسي)[١] .

الخاتمة

تعدّ حرب القرم ونتائجها الدولية نهاية لعهد وبداية لعهد آخر جديد ، أصبحت من خلاله الخريطة السياسية لأوربا مختلفة بسبب حرب الوحدة الإيطالية والألمانية في الفترة من عام ١٢٧٣هـ - ١٢٨٨هـ / ١٨٥٦م - ١٨٧١م ، وتأسيساً على ذلك فإن مؤتمر باريس أسفر عن بروز عصر عظيم من الخداع الأوربي بدلاً من أن يكون عصر سلام أوربي ، ولم تكن الدولة العثمانية هي السبب في وقوع حرب القرم، بل إن الصراع السياسي الروسي وأهدافه والصراع السياسي البريطاني وأهدافه في الشرق بصفة عامة والتصادم بين جوهر السياستين ، كانت سبباً رئيساً في وقوعها ، ففي الوقت الذي كانت فيه روسيا تنظر إلى الدولة العثمانية على أنها رجل أوربا المريض ، والتي ينبغي الخلاص منها كانت بريطانيا ترى ضرورة إقامة وضع جديد من بقايا الدولة العثمانية تستطيع من خلاله المحافظة على توازن القوى في المنطقة من جهة ، ومن جهة أخرى إبعاد خطر الدول الأوربية الكبرى الطامعة فيها ، وحين وجدت بريطانيا الصعوبة في تحقيق ذلك الأمر سلكت طريقاً آخر يرتكز على سياسة المحافظة على الوضع الراهن في الشرق الأدنى بكل أبعاده بوصفه أنجح الطرق لتسهيل تطبيق سياستها ، وخاصة أنها كانت مطمئنة منذ حرب

(١) يوسف ولي شاه أورا لكيراي : المرجع السابق ، ص٥٨ .

القرم إلى أن يدها هي العليا في توجيه السياسات الخاصة بمستقبل الشرق .

في حين كانت حرب القرم من جانب القيصر حرباً صليبية خاصة وأنه وجه إلى الروس منشوراً بتاريخ ٢٥ يونيو عام ١٨٥٣م - ١٢٧٠هـ ، أعلن فيه «أنه أشهر على تركيا حرباً يجب عليه اعتبارها حرباً صليبية وجهادية في سبيل الأرثوذكسية» والدليل على ذلك أن الوالي عباس أدرك تماماً حقيقة تلك الحرب بإعلانه الجهاد المقدس في مصر وبإصداره التعليمات إلى جميع المسؤولين في مصر لتسخير كل الإمكانات للوقوف إلى جانب الدولة العثمانية ضد أعدائها من الكفار الروس ، وهكذا انتهت حرب القرم وقد راح ضحيتها ما يقارب من نصف مليون رجل وهو عدد كبير قتل في حرب أوربية طوال المائة عام منذ مؤتمر فينا ، ولاسيما أن الجيش العثماني قد حارب بطريقة تقليدية ، ولولا الحماسة الدينية لدى الجنود العثمانيين والمصريين ومساندة كل من بريطانيا وفرنسا وسردينيا لتغيرت النتيجة ، فتضارب مصالح الدول الاستعمارية الأوربية تجاه الدولة العثمانية جعل هذه الدول تقف ضد بعضها البعض لخدمة مصالحها .

كما أنها توضح صراع النفوذ والمطامع الأوربية في الإمبراطورية العثمانية وكيف أن هذه القوى المتنافسة كانت تتفق في بعض الأحيان على الإبقاء على الرجل المريض قيد الحياة ما دامت شروط تفكيك الإمبراطورية لم تتوافر بعد، ولما توفرت تم تفكيكها.

والواقع أن هذه القوى مزجت ببراعة بين الدين والسياسة لخدمة أهدافها الإستراتيجية وسخرت المبشرين والمؤسسات الدينية كجيوش للدفاع عن مصالحها في انتظار اللحظة السانحة لإرسال قواتها المسلحة الفعلية إلى المنطقة .

إذن هي حرب وقائية لمنع روسيا من تحويل الإمبراطورية العثمانية إلى محمية، ولكنها أيضاً حرب انفصالية مسبقة ورهانها هو الإمبراطورية العثمانية نفسها وقد عدّت القوى الأوربية آنذاك أن سقوطها لا مفر منه .

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

وثائق غير منشورة :

١- محفظة ١٨ بحر برا ، وثيقة ١٢٢ من سليم باشا إلى كاتب الديوان الخديوي ٥ آخر ذي القعدة ١٢٦٩هـ .

٢ - محفظة ٨١ بحر برا ، وثيقة ١٢٣ من الفريق سليم إلى الجناب العالي عمر باشا المسير الأعظم لجيش روم أيلي والمقيم في سمنر ، ٢١ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ - الموافق يوم السبت.

٣ - محفظة ٨١ بحر برا ، وثيقة ١٢٢ من إسماعيل الكاتب إلى الجناب السامي ، تقرير عن الحوادث اليومية التي حدثت بالمعسكر المقام في صحراء «طوفان» الكامنة جهة تلبور ابتداءً من ذي القعدة سنة ١٢٦٩هـ ، اليوم ٢٨ .

ثانياً : رسائل جامعية غير منشورة :

٤ - السعيد رزق حجاج : **العلاقات المصرية العثمانية ١٢٤٨هـ - ١٨٥٤م عصر عباس الأول** ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

ثالثاً : بحوث ودراسات منشورة في مجلات علمية :

٥ - روبير ما نتران : تاريخ الدولة العثمانية ؛ مراجعة ، محسن شومان ، ترجمة ، بشير السباعي -٠ القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣م ، **مجلة الاجتهاد** ، العددان الواحد والأربعون والثاني والأربعون ، السنة الحادية عشرة ، شتاء وربيع عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٤م ، تصدر عن دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر -٠ بيروت ، لبنان .

رابعاً : المصادر والمراجع الأجنبية :-

6- Anthony Nutting : The Arabs a Narrative History from Mohammed to the Present, London .

7- Hurewitz .J.c: Diplomacy in the Near and Middle East, Adocumentory Record, 1535 - 1956 , Volume 1 , 1535 - 1914, oxford, 1987.

8- Hawly Donald : The Trucial States , London , 1970.

9- Thomas . E . Marston : Britain's Imperial Role in The Red Sea Area 1800 - 1878, Copyright, 1961.

10- Vatikiotis . P.J. : The Modern History of Egypt, London, 1969 .

خامساً : المصادر والمراجع العربية :-

١١- إسماعيل أحمد ياغي : **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ٠- ط١٠- الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

١٢- أنور الرفاعي : شاكر مصطفى ، فيصل شيخ الأرض : **التاريخ الحديث سياسياً وحضارياً منذ ١٨١٥ مع مدخل عن الثورة الفرنسية** ٠- دمشق : مطبعة الترقي، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .

١٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى : **في أصول التاريخ العثماني** ٠- ط١٠- بيروت - القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٤- بسام العسلي : **القانوني القائد** ٠- دار النفائس .

١٥- جلال يحيى : **العالم العربي الحديث** (المدخل) ، ج١ ٠- دار المعارف، ١٩٧٩م.

١٦- جمال محمود حجر . **المشرق الإسلامي في إستراتيجية الدعاية السوفييتية ١٩١٧م- ١٩٣٨م** ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦م .

١٧- جميلة سعد زيد العيسى . **الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر ١٢١٣- ١٢٨٦هـ - ١٧٩٨ - ١٨٦٩م** ،- ط١- الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م .

١٨- حسين خلف الشيخ خزعل . **تاريخ الكويت السياسي** ، ج٢ ، دار مكتبة الهلال.

١٩- حمدنا الله مصطفى حسن . **مصر والحرب الروسية التركية ١٨٧٧- ١٨٧٨م** ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

٢٠- زينب عصمت راشد . **المختصر في تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر** ،- ط٣، ١٩٨١م.

٢١- سليمان بن محمد الغنّام . **قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١-١٨٤٠م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا** ،- ط١- ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٢- سعيد أحمد برجاوي . **الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري** ،- بيروت : لأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣م .

٢٣- سيّار الجميل . **تكوين العرب الحديث** ،- ط١- عمان - الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م .

٢٤- عبد العزيز سليمان نوار . **الشعوب الإسلامية الأتراك - العثمانيون - الفرس - مسلمو الهند** ،- بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٥- عبد العزيز سليمان نوار . **التاريخ الحديث أوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ١٧٨٩-١٨٧١م** ،- ط٢- دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.

٢٦- عبد العزيز سليمان نوار . **التاريخ المعاصر أوربا من الحرب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١-١٩٤٥م** ٠- دار الفكر العربي ، ١٩٨٢م .

٢٧- عبد العزيز سليمان نوار . **تاريخ العراق الحديث** ، ١٩٦٨م.

٢٨- عبد العزيز محمد الشناوي . **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، ج١ ٠- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٩- عمر عبد العزيز عمر . **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مصر ١٥١٧-١٩٥٢م ، القضية الفلسطينية** ٠- بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠م.

٣٠- عبد المجيد نعنعي . **أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣م-١٨٤٨م**٠- بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م.

٣١- علي حسون . **العثمانيون والروس** ٠- ط١٠- المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٣٢- عبد الفتاح أبو عليّة - إسماعيل أحمد ياغي . **تاريخ أوربا الحديث والمعاصر**٠- ط٣ ٠- دار المريخ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٣- عبد الله الأشعل . **الدبلوماسية السوفييتية والصراع الدولي في البلقان** ٠- القاهرة : مطبعة الجبلاوي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٣٤- عبد اللطيف بن محمد الحميد . **سقوط الدولة العثمانية ، دراسة تاريخية في العوامل والأسباب** ٠- ط١٠- الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٣٥- عمر الإسكندري وسليم حسن . **تاريخ أوربا الحديثة وآثار حضارتها** ، ج٢ ٠- مصر : مطبعة المعارف ، ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م .

٣٦- محمد فريد بك المحامي . **تاريخ الدولة العلية العثمانية** : تحقيق د. إحسان حقي ٠- ط٠٢- دار النفائس ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٧- محمد محمود السروجي . **مصر والمسألة الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر** ، مطبعة المصري .

٣٨- محمد مصطفى صفوت . **مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ وأثره في البلاد العربية** ، **معهد الدراسات العربية العالية** ، ١٩٥٧م .

٣٩- محمد سهيل طقوش . **العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ٦٩٨-١٣٤٣هـ/ ١٢٩٩ - ١٩٢٤م** ٠- ط٠١- دار بيروت المحروسة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٠- محمود ثابت الشاذلي . **المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩هـ -١٩٢٣م** ٠- ط٠١- القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٤١- مصطفى الحفناوي . **قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة** ، ج١، تاريخ القناة وأصول مشكلاتها المعاصرة ٠- ط٠٢- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦م .

٤٢- مصطفى الحفناوي . **قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة** ، ج٣ ، حرية الملاحة في القناة ٠- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، أول يوليو ، ١٩٥٧م .

٤٣- نبيل عبد الحي رضوان . **الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦-١٣٢٦هـ- ١٨٦٩-١٩٠٨م** ٠- ط٠١- جدة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٤- نادية وليد الدوسري . **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي ١٢٩٧-١٣٢٥هـ-١٨٨٠ - ١٩٠٧م** ٠- الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٢هـ .

٤٥- وليد محمد جرادات : **الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر** ٠- ط٠١- الدوحة : دار الثقافة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٤٦- يوسف ولي شاه اورالكيراي . **كارثة القرم الإسلامية في الاتحاد السوفييتي** . أغسطس ، ١٩٥٠م .

سادساً : المراجع المعربة :-

٤٧- دومينيك ترامبور . وران أورنسوهن : **من بونابرت إلى بلفور : فرنسا ، أوربا الغربية وفلسطين ١٧٩٩-١٩١٧م** .- ط١- ٢٠٠٢م ، الناشر ، المركز الوطني للبحث العلمي - باريس .

٤٨- **الصراع على السيادة في أوربا ١٨٤٨-١٩١٨م** ؛ ترجمة ، كاظم هاشم نعمة ، يوئيل يوسف عزيز .- الجمهورية العراقية : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

٤٩- **مذكرات السلطان عبد الحميد** ؛ ترجمة وتعليق محمد حرب عبد الحميد .- القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٧٨م .

٥٠- هـ.أ.ل. فشر . **تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠م** ؛ تعريب ، أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع .- ط٥ ، دار المعارف بمصر .

٥١- هارولد تمبرلي - أ.ج. جرانت . **أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠م** ؛ ترجمة محمد علي أبو دره ، لويس إسكندر ، مراجعة ، أحمد عزت عبد الكريم ، ج٢ .- القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٥م .